بودلير

أزهار الشر

ترجمة عن الفرنسية

حنّا الطيّار جورجيت الطيّار

قدّم له

جان بول سارتر

المقدّمة

بقلم جان بول سارتر

موقف بودلير الأصلي هو موقف العاكف على نفسه يتأملها كنرسيس الأسطورة. فليس لديه شعور مباشر لا تخترقه نظرة مرهفة. نحن عندما نتأمل مثلاً شجرة أو بيتاً نستغرق في هذه الأشياء وننسى أنفسنا , أما بودلير فإنه لا ينسى نفسه أبداً. فهو يتأمل نفسه عندما يتأمل الأشياء , وهو ينظر إلى نفسه ليرى نفسه يُنظر. إنه يتأمل شعوره بالبيت وبالشجرة لذا لا يراها إلا أشد ضآلة وأقل وقعاً كما لو كان ينظر إليها من خلال عدسة مصغرة. فلا تدل إحداهما على الأخرى كما يدل السهم على الطريق أو الإشارة إلى الصفحة. وفكر بودلير لايضيع أبداً في متاهاتها ولكن على العكس يرى أن المهمة المباشرة لها هي أن تعيد له شعوره بذاته. لقد كتب يقول ((ما يهم ما تستطيع أن تكون الحقيقة الموضوعة خارج نفسي إذا هي ساعدتني على أن أعيش وأن أشعر إني موجود ومن أنا)). وفي نفسه كان همّه ألا يظهر الأشياء إلا من خلال جدار سميك من الشعور الإنساني عندما يقول في كتابه ((الفن الفلسفي)). ((ما هو الفن الخالص في المفهوم الحديث)) ((هوأن تخلق سحراً متلاحقاً يحتوي الموضوع والعلة معاً والعالم الخارجي للفنان والفنان نفسه, بشكل يستطيع معه إلقاء محاضرة بعنوان ضآلة الحقيقة في العالم الخارجي)) ذرائع, انعكاسات, أطر الأشياء كلها لا قيمة لها مطلقاً بذاتها وليس لها من مهمة سوى أن تعطي الفنان فرصة تأمل نفسه وهو يراها.

لبودلير مسافة جوهرية تفصله عن العالم ليست هي مسافتنا نحن فبينه وبين الأشياء تتدخل دائماًنصف شفافية لزجة قليلاً معطرة كثيراً كأنها ارتجاف هواء الصيف الحار وهذا الشعور المراقب والذي يشعر بأنه مراقب وهو يقوم بأعماله العادية, يفقد الإنسان عفويته كالطفل الذي يلعب في ظل مراقبة الكبار. هذه العفوية التي كرهها بودلير بقدر ما ندم على حرمانه منها. هو لا يملكها مطلقاً فكل شيء عنده مزيّف لأنه مراقب فأتفه نزوة وأقل رغبة تولد مراقبة وحلولة الرموز.

وإذا ما تذكرنا المعنى الذي أعطاه ((هيجل)) لكلمة مباشرة أدركنا أن تميز بودلير العميق يكمن في كونه الرجل الذي فقد المباشرية. ولكن كان لهذا

التميز من قيمة بالنسبة لنا نحن الذين نراه من الخارج, فغنه وهو الذي ينظر إلى نفسه من الداخل لم يستطيع أن يمسك به مطلقاً. كان يفتش عن طبيعته أي خصائصه وكيانه, لكنه لم يدرك سوى توالي حالاته النفسية الرتيبة الطويلة التي جعلته يسخط عليها. كان يرى جيداً ماذا يصنع خصوصية الجنرال أو بيك وخصوصية أمه. فكيف إذنْ لم يتمتع بخصوصية شخصه هو. ذلك لأنه كان ضحية وهم طبيعي, بموجبه ينطبع داخل الإنسان على خارجه. وهذا غير موجود. وهذه الصفة المميزة التي تشير إليه دون الآخرين, لا اسم لها في لغته الداخلية. فهل يرى نفسه روحانياً أم مبتذلاً أم متميزاً ؟ أو هل باستطاعته حتى أن يدرك حيويته و سعة ذكائه ؟ هذا الذكاء الذي لا يحدّه سوى نفسه, وما لم يتدخل المخدر ليسرّع قليلاً من مجرى أفكاره فقد كان معتاداً على وتيرتها وكانت تعابير التشبيه تنقصه ليعرف كيف يتذوق سرعة جريانها.

أما عن تفاصيل أفكاره وعواطفه المتوقعة والمعروفة حتى قبل أن تظهر والشفافة من كل النواحي فإنها تلوح له معروفة جداً, قد رآها من قبل ولها في نفسه ألفة لا رائحة لها ولا طعم. آتية من حياة سائبة. إن نفسه مملوئة بنفسه حتى الفيضان. لكن هذه النفس لست سوى مزاج كابٍ فَقَدَ التماسك والمقاومة, حتى عجز عن الحكم والملاحظة دون ظلال ولا أنوار. إنه وعي ثرثار يرود نفسه بهمس متلاحق ويلتصق بنفسه التصاقاً يمنعه من قيادة نفسه ورؤيتها بوضوح. وهنا تبدأ المأساة البودليرية.

تصوروا الشحرور الأبيض أصيب بالعمى ــ لأن النور المبهر إذا انعكس على العين يعادل العمى ــ فتسلطت عليه فكرة البياض المنتشر على جناحيه, يراه كل الشحارير و يحدثونه عنه وهو وحده لا يستطيع أن يراه, ووضوح بودلير الشهير ليس سوى مجهود لتعويض الخسارة. فالأمر يتعلق باستعادة نفسه وبما أن النظر تملّك فيجب أن يرى نفسه ولكن لكي يرى نفسه يجب أن يكون شخصين. إن بودلير يستطيع أن يرى يديه وذراعيه لأن العين مختلفة عن اليد لكن العين لا تستطيع أن ترى فنسها إنها تشعر بنفسها وتعيشها غير أنها لا تستطيع أن تتخذ المسافة الضرورية لكي تتذوق نفسها. وعبثاً ما يصرخ في **أزهار الشر** قائلاً:

وجهاً لوجه كئيباً واضحاً
يقف وقلبه مرآته

وهذه المواجهة ما تكاد خطوطها الأولى ترتسم حتى تتلاشى لأنه لا يملك سوى رأس واحد. وسينحصر مجهود بودلير في دفع المحاولة المجهضة من الازدواجية إلى نهايتها القصوى, والتي هي الضمير العاكس. وإذا تمتع مبدئيا ًبالوضوح فليس ذلك من أجل أن يقدم لنفسه حساباً عن أخطائه ولكن من أجل أن يصبح اثنين. وإذا أراد أن يكون اثنين فلكي يحقق من هذا الازدواج الامتلاك النهائي للأنا بواسطة الأنا وهكذا يضج منه وضوحه.

فلم يكن سوى شاهد نفسه وسيحاول أن يكون جلادها لأن التعذيب يولد ازدواجية كاملة الاتحاد, فيه يستولي الجلاد على الضحية. وبما أنه لم ينجح في رؤية نفسه فلا أقل من أن ينبشها كما تنبش السكين الجرح آملاً من وراء ذلك أن يصل إلى الوحدة العميقة التي تكوّن حقيقة طبيعته

أنا الجرح والسكين
أنا الضحية والجلاد

فهل هذا التنكيل بنفسه يقلدّ الامتلاك؟ إنه ينزع إلى خلق لحم تحت أصابعه, لحمه هو حتى يعرف أنه لحمه من خلال ما يشعر به من ألم. فأنْ تجعل إنساناً يتألم ذلك يساعدك على امتلاكه وخلقه كما يساعدك على القضاء عليه. والصلة التي تجمع بالتبادل الضحية والمحقق هي صلة جنسية. وعبثاً يحاول أن ينقل إلى حياته الشخصية هذه العلاقة التي لا معنى لها إلا بين أشخاص متمايزين. أن يحول إلى سكين وجدانه العاكس وإلى جرح وجدانه المستقبل في حين أنهما في الواقع واحد.

لا يمكن أن يحب الإنسان نفسه ولا أن يكرهها ولا أن يعذب نفسه, فالضحية والجلاد يختفيان في عدم تمييز مطلق عندما يطالب الأول بالألم والثاني يمارسه بعمل إرادي وحيد. وبودلير أراد بعمل معاكس, لكنه يهدف إلى الغاية نفسها, أن يجعل من نفسه الشريك المتكتم بوجدانه المستقبل, ضد وجدانه العاكس.

وعندما يكف عن جعل نفسه تستشهد فذلك لأنه يحاول أن يندهش من نفسه, وسيدّعي عفوية محيّرة, وسيتظاهر بالاستسلام إلى أكثر النزوات مجانية, لكي يضع نفسه فجأة أمام نفسه, كشيء معتم وغير منتظر, أو بتعبير آخر

كشخص يختلف عن شخصه. فإذا نجح في هذا المسعى فالمشكلة محلولة جزئياً وباستطاعته إذن أن يتمتع بشخصه. ولكنه هنا أيضاً لا يكوّن سوى شخص واحد مع الذي يريد أن يفاجئه, وأقل ما يقال أنه يحدس مشروعه حتى قبل أن يضعه. إنه يتوقع مفاجأته ويقيسها ويركض وراء اندهاشه الشخصي دون أن يستطيع أبداً إدراكه.

فبودليرهو الرجل الذي اختار أن يرى نفسه كأنه شخص آخر ولم تكن حياته كلها سوى قصة هذا الفشل. وعلى الرغم من الخدع التي نسجت صورته في نظرنا إلى الأبد فإنه يعرف تماماً بأن نظرته الشهيرة ليست هي والشيء المنظور سوى واحد. وأنه لن يصل أبداً إلى امتلاك حقيقي لشخصه ولكنه يصل فقط إلى ذلك التذوّق الفاتر الذي يميز الوجدان العاكس.

إنه يشعر بالضجر وهذا الضجر ((تلك العاطفة العجيبة التي هي أصل كل أمراضه وكل نجاحاته البائسة)) ليس حالة عارضة أو كما يدّعي هو أحياناً ثمرة عدم فضوله القرف: إنه ((الضجر النقي من الحياة)) الذي تكلم عنه ((فاليري)) إنه الطعم الذي يملكه الإنسان لنفسه بالضرورة إنه طعم الوجود.

أنا غرفة انتظار عتيقة
مليئة بالورود الذابلة
يملؤها خليط عجيب
من أزياء فات زمانها
ولا يتنفس فيها عبير عطر مسكوب
إلا الرسوم النائحة
ولوحات بوشيه الشاحبة

هذه الرائحة الخفيفة التي تتصاعد من حق مفتوح إنك لا تكاد تشعر بها, لكنك تراها فهي حاضرة بكل هدوء وفظاعة, لأنها الرمز الأمثل لوجود الوجدان من أجل نفسه. فهل الضجر أيضاً شعور ميتافيزيكي.

هذا هو المنظر الداخلي لبودلير والمادة الأزلية التي صنعت منها أفراحه, وغضبه, وأحزانه. وها هو تناسخه الجديد: بعد أن سدّ عليه حدسه, بتفرده الصريح, المنافذ كلها, يدرك أنه وقف على كل إنسان. فسار في طريق الوضوح

ليكشف عن طبيعته المتميزة وعن مجموع الملامح التي تستصيع أن تجعل منه الرجل الذي لا يمكن تعويضه.

أما ما وجده في طريقه فلم يكن وجهه هو, لكنه الأنماط الغامضة للضمير الكوني.

فالكبرياء والوضوح والسأم كلها واحدة في نظره. ففي داخله وعلى الرغم منه, يصل ضمير المجموع إلى ضمير الفرد ويتعارفان.

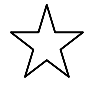
((جان بول سارتر))

إلـى القارئ

AU LECTEUR

الحمق والضلال والإثم والشّح
تحتل نفوسنا وتجهد جسومنا
ونحن نغذي النّدم فينا
كما يغذي المتسوّل الطفيليات التي تتغذى من دمه
آثامنا عنيدة وندمنا جبان
ونحن ندفع غالياً ثمن اعترافاتنا
ونخوض طريق الوحل مغتبطين
ونعتقد أننا بالدموع ندفع ثمن أخطائنا
وعلى وسادة الشر يهدهد الشيطان روحنا المسحورة
ويجتث من نفوسنا معدن الإرادة النفيس
ويمسك بالخيوط التي تحركنا نحو ما يُعاف
من المغريات. وفي كل يوم نهبط
لنقترب خطوة من جهنم دون تقزّز
عبر ظلمات نتنة.
وكالفاسق المسكين الذي يلثم ويلتهم
النهد المعذب لعاهرة محترفة
تختلس المتع الخفيّة ونحن نعبر الحياة
ونعتصرها عصر برتقالة ذابلة
وتعربد بأدمغتنا حشود الشياطين
كالملايين من الديدان المتراصّة
وعندما نستنشق الهواء يتسلل الموت إلى صدورنا
كنهر خفيّ يطلق أنّاته المجنونة
فإذا كان الاغتصاب والسم والحرائق
والخنجر لم تنسج بعد شبكة مصائرنا
برسومها المستحبة المثيرة
فلأننا وأسفاه لم نبلغ من الجرأة ما يكفي
وبين كل الفهود والعقارب والسعادين وبنات آوى
والعقبان والأفاعي ةالكلاب

وكل الوحوش التي تزمجر وتدمدم وتزحف
داخل نفوسنا الآسنة الوضيعة
هناك واحد هو أشدّها دمامة وخبثاً ونجاسة
وهو, وإنْ كان قليل الحراك ضعيف الصوت
مستعدّ بجولة واحدة أن يصنع من الأرض أنقاضاً
وبتثاؤبة واحدة أن يبتلع العالم
إنه الضجر الذي يحلم بالمشنقة وهو يدخّن نرجيلته
و في عينيه تلتمع دمعة لا إرادية
أنت تعرفه أيها القارئ, هذا الغول الناعم
أيها القارئ المرائي ــ يا شبيهي ــ يا أخي.



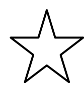
مباركة

BENEDICTION

عندما يظهر الشاعر في هذا العالم الملول
بقرار من القوى العلوية
تلوّح أمه المذعورة بقبضتيها المتشنجتين
في وجه الله الراثي لحالها هائجة
وتقول: ليتني وضعت وكراً من الأفاعي
بدلاً من أن أرضع هذا الطفل التافه
ملعونة هي ليلة المتعة الزائلة التي حملته فيها
ليكن هذا الحمل كفارةً عن كل ما ارتكبته من آثام
بما أنك يا رب اخترتني من بين النساء جميعاً
لأكون موضع قرفٍ لزوجي البائس.
إنني لا أستطيع أن ألقي بهذا المسخ المخيف
كما تلقى رسالة الحب في اللهب
سأقصف عمر هذه الشجرة
لكي لا تنمو براعمها الوبيلة.
وهكذا تجرَّعَتِ المرأة زَبَدَ حقدها
وهي تجهل أن القدر المحتوم
جعلها تعدّ بنفسها, في قصر الجحيم,
المحرقة المهيأة لجرائم الأمومة
لكن ملاكاً خفياً يبسط حمايته على الولد المحروم
فيسكر بالضياء. وفي كل ما يأكل ويشرب
يجد الرحيق وشراب الآلهة.
يلهو مع الريح ويتحدث إلى الغيوم
ويمشي على درب الآلام وهو يغني
والروح التي ترافقه في حَجِّه المقدس
تبكي لرؤيته فرحاًكعصفور الغابة
ويراقبه بخوف كل الذين يرغب في محبتهم
أو يغتنمون هدوءه ليبحثوا عمن يستطيع
أن ينتزع منه شكوى

ويجرون عليه تجارب وحشيتهم
ويخلطون خبزه وخمره بالرماد والبصاق
ويلقون جانباً, برياء, بكل ما تمرُّ عليه يده
ويعاتبون أنفسهم لأنهم ساروا على
هدي خطاه
وزوجته تصرخ في الساحات العامة قائلة:
بما أنه يجدني جميلة حتى العبادة
لذلك سأفعل ما فعلته الأوثان القديمة
سأجعله يعيد طلائي بالذهب
وسأسكر بعطر الناردين والبخور
والمّر والخمور والسجود واللحوم
لأعرف إن كنت أستطيع أن أزاحم الولاء الإلهي
في قلبه المعجب وعندما أسأم هذا التهريج
سوف أمد يدي القوية الهشة إلى قلبه
وأظافري الشبيهة ببراثن الجوارح
تستطيع أن تمهّد الطريق إليه
وكالعصفور المرتعش سأقتلع هذا القلب المدمّى
وألقيه أرضاً باحتقار, لأشبع في داخلي
وحشي المفضل
لكن الشاعر الهادئ يرفع ذراعيه الخاشعتين
إلى السماء إلى حيث تلمح عيناه عريشاً رائعاً
وومضات روحه الكبيرة الصافية
تحجب عنه مشاهد الشعوب الغاضبة
فلتكن مباركاً يا الله يا من تمنح الآلام
كأنها دواء سماوي لأوزارنا
والرحيق الطاهر الذي يعدّ الأقوياء
لتلتقي المتع المقدسة
أنا أعرف يا إلهي أنك تحتفظ للشاعر
بمكان في صفوف السعداء
وتدعوه للمشاركة في الأعياد الخالدة
للعروش والفضائل والانتصار على الرغبات
أنا أعرف أن الألم هو الشرف الوحيد

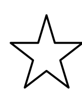
الذي لا ترقى إليه أرض ولا جحيم
وأن صناعة تاجي الرمزي
تقوم به جهود الأكوان والأزمان
وأن كل جواهر تدمر القديمة المفقودة
والمعادن المجهولة ولآلئ البحار
التي استخرجتها يداك
لن تكون كافية لتزيين هذا التاج الباهر المضيء
لأنه من صنع الأشعة النقية
النابعة من موطن الأضواء الأصيلة المقدسة
وأن العيون الغافية على أشراقها
ليست إلا مرايا مظلمة وشاكية
بالنسبة إليها....



القطرس

L'ALBATROS

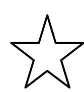
غالباً ما يصطاد البحارة طلباً للتسلية
طيور القطرس. هذه الطيور البحرية الكبيرة
التي تتبع بغير مبالاة السفينة المنسابة
فوق اللجج كأنها رفاق السفر
وما إنْ يضع البحارة ملك الفضاء هذا
على ألواح السفينة
حتى يتحول إلى أخرق خجل
يترك جناحيه الكبيرين الناصعين
يجرجران إلى جانبه كالمجاديف
بصورة تدعو للرثاء
يا له من أخرق تافه مضحك وبشع
هذا المسافر المجنح الذي كان في غاية الجمال
فواحد يزعج منقاره بغليونه
وآخر يقلد وهو يعرج هذا المريض الذي كان يحلق
ما أشبه الشاعر بأمير الفضاء هذا
الذي كان يرود العاصفة ويهزأ بالرّماة
إنه على الأرض منفيّ بين الغوغاء
وأجنحته الجبارة تعوقه عن مواصلة المسير



سمو

ELEVATION

أنت يا نفسي تندفعين بخفة فوق المستنقعات
والأودية والجبال والغابات.
فوق الغيوم والبحار وراء الشموس والأثير
وتشقين كالمحراث, وكسبّاح ماهر تطربه الأمواج,
الفضاء الواسع العميق بنشوة عارمة لا توصف
طيري يا نفسي بعيداً عن هذه الروائح الكريهة
واذهبي وتطهّري في الفضاء الواسع العالي
وليكن شرابك الإلهي النقي هذا الضياء اللامع
الذي يملأ أجواز الفضاء الصافية
ما أسعد من يستطيع بجناح جبّار
أن ينطلق إلى الحقول المضيئة الصافية
تاركاً وراءه السأم والأحزان الكبيرة
التي تهيمن بثقلها على هذا الوجود الغامض
ما أسعد من كانت أفكاره كطيور القبّر
تنطلق في الصباح لتتابع طيرانها حرة إلى السموات
وما أسعد من يحلق فوق الوجود
ويفهم دون كبير عناء
لغة الزهور والأشياء الصامتة

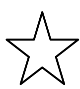


المنـارات

LES PHARES

((ريبنز Rubens)) يانهراً للنسيان وبستاناً للكسل ووسادة من لحم غضّ
لا للغزل
ولكن لتزدحم عليها الحياة وتضطرب بغير انقطاع
كما يضطرب الهواء في الفضاء والموج في البحر
((ليونارد دي فنشي Leonard de Vinci))
يا مرآة عميقة فاتحة تلوح فيها فاتنات الملائكة
بابتساماتهن الغامضة من خلال جبال الجليد
وأشجار الصنوبر التي تحاصر بلادهم
((رامبراندت Rembrandt)) أيها المشفى الحزين
المملوء بالهمسات
المزين بصليب ضخم تفوح منه الصلوات
من بين الأقذار ممزوجة بالدموع
لم يظفر من الشتاء إلا بشعاع مفاجئ
((ميكيل أنج Miehel Ange))
أيها المكان الغامض الذي تختلط فيه
العمالقة بالمصلوبين وتنتصب الأشباح الجبارة
ممزّقة أكفانها عند الشفق ممدودة الأصابع
((بيجي Puget)) أيها الإمبراطور الحزين
للمحكومين بالأشغال الشاقة
أيها القلب المملوء كبراً والرجل الشاحب الكئيب
يا من عرفت كيف تلملم الجمال من ملامح
الأوغاد ويا غضب الملاكمين وقحة الحيوان
((واتو Watteau)) أيها الكرنفال الذي
تهيم فيه القلوب الكبيرة مضيئة كالفراش
والزخرف الغض المجنّح الذي يغمره نور الثريات
فيسكب الجنون على هذا المرقص الصاخب
((غويا Goya)) أيها الكابوس
المملوء بالأسرار المجهولة

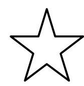
والأجنة التي تطهى في اجتماع السّحرة والأطفال
والعجائز بأيديهن المرايا عاريات
يسوين من جواربهن لإغواء الشياطين
((دي لاكروا De lacroix)) يا بحيرة من دم
يسكنها ملائكة أشرار
تظللها غابة من أشجار الصنوبر
الدائمة الخضرة تمر بها تحت سماء حزينة
أنغام غريبة كأنها زفرة مجنونة
من زفرات الموسيقي. ويبير Weber
هذه الشتائم واللعنات والشكاوى والنشوات
والعويل والدموع والصلوات
كل ذلك ليس سوى صدىً تردده المتاهات
وأفيون إلهيّ للقلوب الفانية
والصرخة التي يرددها آلاف الحراس
والإيعاز الذي ترجّع آلاف الأبواق صداه
والمنارات التي تضيء فوق القلاع
ونداء الصيادين التائهين في الغابات
حقاً يا مولاي إن خير شهادة نرفعها إليك
هي هذه الزفرة الحارة التي تنتقل من جيل إلى جيل
لتموت على شاطئ أبديتك



الراهب الرديئ

LE MAUVAIS MOINE

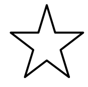
كانت الأديرة القديمة
تعرض على أسوارها الضخمة
الحقيقة المقدسة في لوحات
وكان لتلك اللوحات أثرها
في إيصال الدفء إلى النفوس النقية
فتخفف من قسوتها المتزمتة
في تلك الأزمنة التي كانت تنمو فيها بذور المسيحية
كان أكثر من راهب مشهور, ونادراً ما يذكر اليوم,
يتخذ من مسرح المآتم محفلاً
يمجد فيه الموت بكل بساطة
إن نفسي قبر أطوّف فيه وأقيم منذ الأزل
بثياب راهب ضال
ولا من يجمّل جدران هذا الدير البشع
أيها الراهب الكسول متى أعرف
أن أصنع من حاضر حياتي البائسة
عملاً ليديّ وحباً لعينيّ



العدوّ

L'ENNEMI

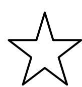
شبابي لم يكن سوى زوبعة قاتمة
اخترقته هنا وهناك الشموس اللامعة
فقد عبث المطر والرعد ببستاني
فلم يبقيا فيه إلا القليل من الثمار الذهبية
وها إن أفكاري قد بلغت خريفها
ولابد لي من استعمال الرفش والمسلفة
لأعيد تنظيم هذه المزارع التي غمرتها المياه
وحفرت فيها حفراً واسعة كالقبور
من يدري إذا كانت هذه الأزهار الجديدة
التي كنت بها أحلم
ستجد في التربة المغسولة كالرمل
الغذاء الرمزي الذي يبعث فيها النشاط
أيها الألم إن الزمن يُبلي الحياة
والعدوّ الغامض الذي ينهش قلوبنا,
على دمنا المسفوح ينمو ويقوى



الشؤم

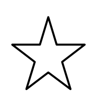
LE GUIGNON

لن تُغني محبّة العمل عن الشجاعة أي ((سيزيف))
حتى ترفع هذا العبء الفادح.
فطريق الفنّ طويلة والزمن قصير
إن قلبي يسير كالطبل المبحوح
الذي يتجه إلى مقبرة معزولة
بعيداً عن المدافن المشهورة
وهو يقرع الأناشيد الجنائزية.
أكثر من جوهرة ترقد مكفّنة بالظلام والنسيان
لا تدركها فأس ولا يصل إليها مسبار
وأكثر من زهرة تريق عطورها المنعشة
في الخفاء على الأماكن الموحشة



L'HOMME ET LA MER

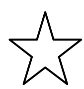
أيها الإنسان الحر ستحب البحر دائماً
فالبحر مرآتك تتأمل نفسك في انبساط أمواجه
غير المتناهية, في حين
أن روحك هاوية لا يقل عنه مرارة
ومن دواعي سرورك أن تغوص في أعماق صورتك
وتضمها بعينيك وذراعيك
وقلبك يلهو أحياناً بخفقانه
وبصخب هذه الشكوى الوحشية المتمردة
فأنتما غتمضان لا تبوحان
فيا أيها الرجل.... لم يستطع أحد أن يسبر أغوار نفسك
ويا أيها البحر .... لم يستطع أحد أن يعرف مقدار ثروتك
الدفينة في أعماقك
لحرصكما الشديد على كتمان أسراركما
ومع ذلك فإنكما تحتربان بلا شفقة ولا ندم
لأنكما تحبان كثيراً الموت والمجازر
يا أيها المتحاربان الأزليان
والأخوان اللذان لا يعرفان الهدوء



الحسناء

LA BEAUTE

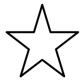
أيها الناس الفانون
أنا جميلة جمال حلم من حَجَر
ونهداي اللذان لم يسلم أحد من عذابهما
خلقا لِيُلهما الشاعر حباً خالداً وصمتاً
كصمت المادة الخرساء
إني أجلس على عرش السماء
كأبي هَوْل غامض
وأجمع إلى بياض الإوزة قلباً من جليد
أكره الحركة التي تغيّر مواضع الخطوط
ولا أعرف مطلقاً الضحك ولا البكاء
والشعراء أمام عظمة مواقفي
التي يبدو أني استعرتها من كبرياء أعظم الصروح
ينفقون الأيام في دراسات جادة
إنّ لي ــ لِسَحْرِ هؤلاء العشاق الوادعين ــ
مرايا بغاية الصفاء والنقاء
تبدو فيها الأشياء أكثر جمالاً
إنها عيناي. عيناي النجلاوان
بأضوائهما الخالدة



المثل الأعلى

L'IDEAL

لن تستطيع هذه الجمالات الزخرفية
هذا النتاج المزري لعصر تافه
وهذه الأقدام بأحذيتها الثقيلة والأصابع بصنّاجاتها
أن ترضي قلباً كقلبي
لقد تركت ((لكافارني Gavarni))* شاعر الشحوب
قطيعه المغرد من حسناوات المشافي
لأني لم أستطع أن أجد بين هذه الورود الشاحبة
زهرة بحمرة مثلي الأعلى
فمثلي الأعلى هو أنت يا ((ليدي ماكبث))
أيتها الروح الجبارة القادرة على اقتراف الجرائم
أنت التي تستطعين إرضاء قلب عميق كالهاوية
هو أنت يا حلم ((اسخيلوس)) المتفتح في الأجواء العاصفة
هو أنت أيها الليل العظيم يا ابن ((ميكيل آنج))**
الذي يقتل بهدوء في وضع غريب
الفتنة في أفواه الجبابرة



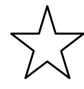
---

* شاعر يوناني قديم يعد أبا المأساة.

** تمثال مشهور للمثال ميكيل آنج.

LA GEANTE

عندما كانت الطبيعة في ذروة إخصابها
تتمخض كل يوم عن أطفال عمالقة
كنت أحب أنّ أعيش بالقرب من عملاقة شابة
كما تعيش قطة شهولنية عند قدميْ ملكة
كنت أحب أن أرى جسمها يتفتّح مع تفتّح روحها
وينمو طليقاً بالغاً أقصى مداه
فأكشف من خلال الضباب السابح في عينيها
عن الشعلة الكئيبة التي يخفيها قلبها
وأطوف متمهلاً فوق أعضاء جسدها الرائع
وأسلق مُنحدرَيْ ركبتيها العظيمتين
وفي الصيف عندما تسكب الشمس أشعتها المؤذية
وتحملها على التمدّد في جوف الريف مُتعَبة
أحب أن أنام مسترخياً في ظلال نهديها
كما تستريح الخيمة تحت أقدام الجبل

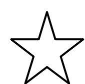


أنشودة الحسناء

HYMNE A LA BEAUTE

سواء هبطت من أعالي السماء
أم خرجت من أغوار الأرض أيتها الحسناء
إن نظرتك الجهنمية الإلهية
تسكب بغموض, الإحسان والجريمة
وإنك لتشبهين في ذلك, الخمر.
في عينيك الفجر والغروب
تسكبين العطر كمساء عاصف
قبلاتك رحيق وفمك قارورة طيب
تجعل البطل جباناً والطفل شجاعاً
وسواء خرجت من ظلام الهاوية أم هبطت من الكواكب
فإن القدر المفتون يقتفي كالكلب أثر تنانيرك
إنك تزرعين بغير قصد الفرح والكوارث
تحكمين الكل ولا تُسألين عن شيء
تدوسين الجثث وتهزئين بها
فالرعب ليس أقل حُليّك فتنة
والاغتيال من جواهرك الأثيرة لديك
وهو يرقص بافتتان على جسدك المتكبّر
والفاني المبهور يطير إليك أيها الصباح
فازفرْ وتوهّجْ وقل: لنبارك هذه الشعلة
فالعاشق الهيمان ينحني فوق حسنائه
كمحتضر يداعب قبره
سيان عندي من السماء هبطت
أم من جهنم صعدت
يا وحشاً هائلاً مخيفاً بريئاً
لو أن عينيك وابتسامتك وقدميك
لو أنها كلها تفتح لي أبواب اللانهاية
التي أحبها ولم أعرفها مطلقاً
سيان عندي أجئت من شيطان أم جئت من إله

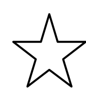
أيها الملاك ــ أيتها المرأة الفاتنة
أيتها الجنية المخملية العينين
أيها الإيقاع ــ والعطر والبريق
يا مليكتي الوحيدة ليت يديك
تجعلان العالم أقل بشاعة
والثواني أقل ثقلاً



LA CHEVELURE

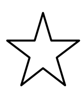
أيها الشعر المجعّد حتى العُنق
أيتها الخصلات والعطر المحمّل بالكسل
أيتها النشوة: لأجل أن أملأالمخدع المظلم
هذا المساء بالذكريات الراقدة في هذا الشعر
يطيب لي أن أنفضه في الهواء كما يُنفض المنديل
فآسيا الفاترة وإفريقية المحترقة
كل هذا العالم الغائب البعيد كأنه ميت
يحيا في أعماقك أيتها الغابة المعطرة
إن روحي تسبح في عطورك
كما تسبح الأرواح على أنغام الموسيقا
سأذهب إلى حيث الشجر والإنسان الممتلئان نسُغاً
تتغشاهما إغماءة طويلة من حرارة المناخ
فكوني الموجة التي تحملني أيتها الضفائر القوية
فانت أيها البحر الأبنوسي تحوي حلماً رائعاً
وأشرعة ومجدِّفين. ولهباً وصواري
أنت المرفأ الشهير الذي تستطيع فيه نفسي أن تعُبَّ
العطر والضوء واللون بجرعات كبيرة
وتستطيع فيه السفن المنسابة فوق الذهب والضياء
أن تفتح ذراعيها الواسعين لتعانق
مجد سماء نقية ترتجف فيها الحرارة الأزلية
سألقي برأسي المولع بالسُّكرْ
في هذا الخضمِّ المظلم وروحي الصافية
التي يهدهدها اهتزاز الأمواج
ستعرف كيف تعثر عليك يا فتوراً خصباً
ويا هدهدةً من الفراغ المعطر ليس له نهاية
أيها الشعر الأزرق والرواق المفروش بالظلمات
جعلت زرقة السماء تبدو لعيني
هائلة مستديرة

فعلى زَغَب أطراف خصلاتك المبرومة
أسكر بالروائح المختلطة المنبعثة
من زيت جوز الهند والمسك والغار
ويدي تنثر دائماً ومليّاً في شعرك الكثيف
اليواقيت واللآلئ حتى لا تصمّي أذنيك
عن نداء رغباتي
ألستِ الواحة التي بها أحلم
والقارورة التي منها أعبّ بجرعات كبيرة
خمرة الذكريات



LE SERPENT QUI DANSE

أيتها العزيزة اللامبالية
كم أحب أن أرى في هذا القدّ الرائع
تلؤلؤ بشرته كم يتلألأ ثوب هفهاف
وكم أحب أن أرى في شعرك الكث المجعّد
المضمخ بالعطور الفاغمة
ذلك البحر العَطِر التائه
بأمواجه الزرقاء والسمراء
وكالسفينة التي تستيقظ مع رياح الصباح
تتهيأ نفسي الحالمة للإبحار نحو سماء بعيدة
عيناك اللتان لا تنمان عن شيء من حلو ومرّ
هما حليتان باردتان فيهما يختلط
الذهب بالحديد
فمن يرى وقع خطوك على جمال سجّيته
يظنُّ أفعواناً يرقص فوق رأس عصا
وتحت عبء فتورك يتمايل رأسك الطفل
تمايل فيل صغير
وقدك بانحنائه وتطاوله يشبه
سفينة رشيقة تنساب من شاطئ لشاطئ
وتغرس دواقل صاريها في الماء
وكما يرتفع الموج من ذوبان الثلوج الهادرة
هكذا يرتفع فوق ثناياك الرضاب
وأنا يخيّل لي أني أعبه خمرة بوهيمية
هذه الخمرة القاهرة
كأنها سماء سائلة تنثر في قلبي النجوم

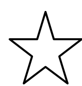


جيفة

UNE CHAROGNE

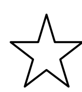
أتذكرين يا نفسي الشيء الذي رأيناه
ذات صباح صيفي منعش
على منعطف طريق ضيق
هذه الجيفة الكريهة الراقدة على سرير من حصى
ساقاها إلى الأعلى كالمرأة الشبقة
تحترق وتنفث السموم
وتكشف عن جوف مفعم بالروائح المنتنة
بقحة وبغير اكتراث
كانت الشمس تضيء فوق هذا العفن
كأنما تريد أن تنهي طهوه
لتعيد إلى الطبيعة العظيمة
أضعاف ما جمعته منها
كانت السماء تنظر إلى الهيكل الرائع كأنه زهرة متفتحة
والنتن من شدته كان يبعث على الإغماء فوق العشب
والذباب يطوف فوق هذا البطن المتعفن
الذي كانت تخرج منه كتائب الدود الأسود
منسابة كالسائل الكثيف
على جانبي هذه المِزَق الحية
كل ذلك كان يهبط ويصعد كالموج الهادر
أو يندفع وهو يحتدم
كأني بهذا الجسد المنتفخ بنسمة غامضة
يعيش ويتكاثر
هذا العالم كان يردّد موسيقا غريبة
كأنها الماء الجاري والريح
أو حبة القمح يحركها ويديرها غربال
كانت الأشكال تمّحي كأن لم تكن إلا حلماً
أو خطوطاً أولية تبطئ في الظهور
على لوحة منسية يحاول الفنان

إكمالها من الذاكرة.
ووراء الصخور كانت كلبة قلقة
تنظر إلينا بعين حانقة
وهي تتحين الوقت الملائم
لتأخذ من الجثة القطعة التي تركتها
فيا نجمة عينيّ وشمس دنياي
يا ملاكي وهواي
ستصبحين يا مليكة المفاتن
يا شبيهة بهذه الجيفة بعد تلقيك الأسرار الأخيرة
عندما ترحلين وترقدين تحت العشب والزهر
لتتحللي بين الرفات
عندها يا حسنائي قولي للديدان
التي ستلتهمك بقبلاتها
إني قد احتفظت بالشكل والجوهر الإلهي
لغرامياتي التي تحللت



LE CHAT

تعال ياهري الجميل إلى قلبي الولهان
أغمِدْ مخالبك داخل قائمتيك
ودعني أغوص في عينيك الجميلتين
المصنوعتين من عقيق ومعدن
فعندما تتمهّل أناملي في مداعبة
رأسك وظهرك المطواع
وتنتشي يدي من لذة ملامسة
جسمك المكهرب
تتراءى لي في الخيال امرأتي
نظرتها كنظرتك أيها الحيوان المحبوب
عميقة وباردة تغري وتقطع كالسهم
ومن أخمص قدميها حتى الرأس
يطوف حول جسمها الأسمر ويسبح
جوّ لطيف وعطر خَطِر

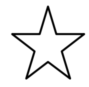


الشرفة

LE BALCON

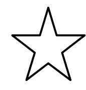
يا مصدر الذكريات وسيدة الخليلات يا أنت
يا كل ملاذيْ يا أنت يا كل واجباتي
سوف تذكرين روعة المداعبة
وحلاوة الموقد وسحر الأمسيات
يا مصدر الذكريات وسيدة الخليلات
في الأماسي المضاءة بأوار الموقد
والتي قضيناها في الشرفة المجللة بالضباب الوردي
كم كان صدرك حلواً وقلبك طيباً
فكثيراً ما تحدثنا بأشياء خالدة
في الأماسي المضاءة بأوار الموقد
والتي قضيناها في الشرفة المجللة بالضباب الوردي
كم كان صدرك حلواً وقلبك طيباً
فكثيراً ما تحدثنا بأشياء خالدة
في الأماسي المضاءة بأوار الموقد
ما أجمل الشموس في الأمسيات الدافئة
وأعمق الفضاء. وأجرأ القلوب
عندما كنت أنعطف نحوك يا ملكة المعبودين
كنت أخالني أشمّ رائحة دمك
ما أجمل الشموس في الأمسيات الدافئة
كان الليل يدلهمُّ كأنه الجدار الفاصل
ولكن عينيّ في حلكته كانتا تستشفان حدقتيك
وكنت أتجرع أنفاسك أيتها السمّ والحلاوة
وقدماك بين راحتيّ الأخويتين
كانتا تستسلمان لنوم هادئ
عندما كان الليل يدلهمّ كأنه الجدار الفاصل
إني أعرف فنّ إثارة اللحظات السعيدة
وأعرف فنّ إحياء ماضيّ المتكور عند ركبتيك
ماذا يفيدني أن أفتش عن مفاتنك الناعسة

في مكان غير جسدك العزيز وقلبك الطيب
لأني أعرف فنّ إثارة اللحظات السعيدة
هذه العهود والعطور والقبلات بلا عدد
هل ستصعد من هوة لا قرار له
كما ترتفع في السماء الشموس المشرقة
بعد أن اغتسلت في أعماق البحار السحيقة
أيتها العهود والعطور أيتها القبلات بلا عدد.



LE POSSEDE

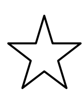
الشمس تتلفع بغلالة رقيقة
فاتشحْ مثلها يا قمر حياتي بالظلال
نامي أو فدخّني على هواك
وكوني خرساء وكوني غامضة
واغرقي بكلّيتك في لجة السأم
فأنا أحبك هكذا
ولكن إذا أردت اليوم
أن تختالي في الأماكن التي يزدحم فيها الجنون
كما يختال نجم خرج من كسوفه
فلا بأس عليك. أيها الخنجر الفاتن
اخرجْ من غمدك
أشعلي أحداقكِ على لهب الثريات
وأوقدي الرغبة في عيون غلاظ القلوب
فكل ما يصدر عنك من نَزَق واعتلال
هو مصدر للذتي
كوني كما تريدين ليلاً حالكاً أو صباحاً وردياً
فليس في جسدي المرتجف كله عصب واحد
لا يصرخ : آه يا عزيزي ((بيلزيبوت)) أعبدك



الظلمات

LES TENEBRES

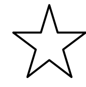
إلى أقبيةٍ لا يُسبَر حزنها نفاني القدَر
أقبيةٍ لا يدخلها أبداً شعاع وردي فَرِح
فيها أجلس وحيداً مع الليل هذا الضيف العابس
كأني رسام حكم عليه إله ساخر
أن يرسم وا أسفاه على لوحة من ظلام
أو كطبّاخ مأتميّ الشهية
يعكف على سلق قلبه ليقتات به
وأحياناً يلتمع ويستطيل وينتشر
شبحٌ صُنع من غنج وروعة
وعلى هَدْي كشيته الحالمة الشرقية
وحين يبلغ غاية عظمته
أتعرف زائرتي الحسناء
إنها سوداء ومع ذلك مضيئة



العطر

LE PARFUM

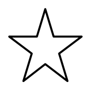
أيها القارئ هل استنشقت مرة
في نشوة وشره بطيئين
رائحة هذه الحبة من البخور
الذي يملأ أرجاء كنيسة
أو هل شممت حقّ مِسك فتيق
يالها من فتنة عميقة ساحرة
يسكرنا فيها الماضي المتجدد في الحاضر
هكذا العاشق على صدر معبود
يجني من الذكريات زهرتها الشهية
فمن شعرها الكث المطواع
هذا الحق الحي وهذه المبخرة للمخدع
يتصاعد عبير وحشي أشقر
ومن ثيابها الحريرية المخملية
المشبعة بشبابها الطاهر
يتصاعد عبق الفراء



بكاملها

TOUT ENTIERE

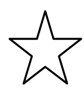
زارني الشيطان يوماً في غرفتي العالية
محاولاً أن يضبطني متلبساً بالخطيئة
فقال: أتوق أن تخبرني عن أحلى ما فيها
فبين كل المفاتن التي تصنع سحرها
ومن الأشياء الوردية والسوداء
التي تكوّن جسدها الفاتن
أى شيء هو الأجمل
أراكِ يا نفسي تجيبين كارهة
لا سبيل إلى المفاضلة فكل ما فيها بلسم
فعندما يلفني بسحره كل شيء فيها
أجدني أجهل الشيء الذي سحرني
إنها كالفجر تبهىني وكالليل تعزيني
والانسجام الذي يلف كل جسدها
بلغ من روعته أن عجز التحليل وقصَّر
عن تعداد توافقاتها العديدة
فيا تغيُّر حواسي كلها الذائبة في واحدة
إن أنفاسها تصنع الموسيقى
وإن صوتها يصنع العطور



إيقاع المساء

HARMONIE DU SOIR

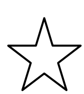
ها قد جاء الوقت الذي فيه تهتزّ
كل زهرة على ساقها وتفوح كالمبخرة
فالألحان والعطور تدور في نسيم المساء
كما تدور الرقصة الكئيبة والنشوة الفاترة
كل زهرة تفوح كمبخرة
والكمان يرتعش كالقلب المعذب
أيتها الرقصة الكئيبة والنشوة الفاترة
السماء حزينة جميلة كمذبح كنيسة واسع
الكمان يرتعش كالقلب المعذب
قلب رقيق يكره العدم الأسود الفسيح
وسماء حزينة جميلة كمذبح كنيسة واسع
والشمس تغرق في دمها المتجمد
قلب رقيق يكره العدم الأسود الفسيح
يلتقط كل بقية من ماضيه المضيء
والشمس تغرق في دمها المتجمد
وذكراك في نفسي تتألق
كواجهة مذبح مقدس



السُّم

LE POISON

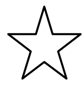
يعرف الخمر كيف يضفي حتى على أحقر الأكواخ
وأقذرها بذخاً خارقاً
ويفجر أكثر من رواق خرافي
في ذهب بخاره الأحمر
كشمس غاربة في سماء غائمة
الأفيون يزيد اتساع ما ليس له حدود
يطيل اللامتناهي يعمّق الزمن
يكشف عن أعماق اللذة
ويملأ النفس فوق ما تسع
بلذائذ قاتمة سوداء
كل هذا لا يضاهي هذا السُّم
المنسكب من عينيك الخضراوين
بحيرتين ترتجف أمامها نفسي
فترى نفسها في وضع مقلوب
وتَفِدُ إليها أحلامي زمراً
لترتوي من أعماقها المُرّة
كل هذا لا يضاهي أعجوبة لعابك الرهيب
الذي يشدّ على قلبي
ويغرق في النسيان نفسي بلا نَدَم
ويجرف معه دوارها
ويتركها خائرة على شواطئ الموت



السماء الغائمة

CIEL BROUILLE

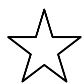
كأني بنظراتك يجللها الضباب
وعيناك الغامضتان أهما
زرقاوان خضراوان أم رماديتان؟
وعندما يتعاقب عليهما الحلم والقسوة والحنان
تعكسان اللامبالاة وشحوب السماء
تذكّرين بالأيام البيض الغائمة الفاترة
التي تجعل القلوب المسحورة تذوب دموعاً
عندها تهزأ الأعصاب وهي في ذروة انفعالها بالنعاس
تلك الأعصاب التي روعها وعصرها الم مجهول
تشبهين أحياناً تلك الآفاق الساحرة
التي تضيئها شموس الفصول الغارقة في الضباب
فما أشد تألقك أيها المنظر المخضل
الذي تضيئه أشعة سماء غائمة
أيتها المرأة الخطرة والمناخات الفاتنة المُغرية
أيتاح لي أن أعبد صقيعك وثلوجك
وهل سأعرف كيف أجني من الشتاء الذي لا يرحم
متعاً أكثر حدة وقسوة من الجليد والحديد



LE CHAT

هرّ جميلٌ قويٌ ناعمٌ يجوس في دماغي
كما يجوس في شقته
وعندما يموء تكاد لا تسمعه
فلرنين صوته رقة ورصانة
وسواء زمجر أم لان
فهو دائماً عميق الصوت غني النبرات
وهنا يكمن سرّ فتنته
صوته الذي يقطر ويتسرب إلى أعماقي
يملؤني كالشِّعر ويُسكرني كالرحيق
يسكّن في نفسي أقسى الآلام
ويحتوي على كل النشوات
ولكي يعبّر عن أطول الجمل
لا يحتاج مطلقاً إلى كلمات
وما من وتر يستطيع أن يعزف
على أوتار قلبي هذه الألة المتقنة
وينتزع منه أشجى النغمات
سوى صوتك أيها الهر الغامض الملائكي العجيب
هذا الذي يحوي كل ما في صوت الملائكة
من رقة وانسجام
فمن شُقرة فروته وسمرتها
انطلق عبير بلغ من النعومة
أنه غمرني بالعطر ذات مساء
لمجرد أني لامسته مرة واحدة
إنه روح البيت الأليف
يقضي ويرأس ويلهم كل شيء في امبراطوريته
أفيمكن أن يكون جناً أفيمكن أن يكون إلهاً
وعندما تشَدّ عيناي نحو هذا الهر
الذي أحبه كأنما جذبهما مغناطيس

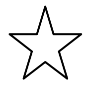
ترتدان طائعتين لتتأملا داخلي
فأرى وأنا مأخوذ أنوار حدقتيه الشاحبتين
تتأملني محدّقة
كأنها السُرُج المضيئة واللآلئ المتألقة



دعوة إلى السفر

L'INVITATION AU VOYGE

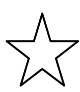
بنيتي شقيقتي تأملي ما أحلى الذهاب
إلى هناك لنعيش معاً
نحب على مهل نحب ونموت
في البلد الذي يشبهك
فشموس السموات المبتلة الغائمة
هي روحي هذا السحر الغامض لعينيك الغادرتين
المتلألئتين من خلال الدموع
فكل شيء هناك سيكون
نظاماً وجمالاً وترفاً وهدوءاً ومتعة
فالأثاث اللامع الذي صقلته السنون
سيزين غرفتنا
وأندر الأزهار سيختلط عبيرها بالعنبر
والسقوف المزخرفة والمرايا العميقة والترف الشرقي
كل ذلك سيكلم النفس سراً
بحلاوة لغة موطنها
كل شيء هناك سيكون نظاماً وجمالاً
وترفاً وسكينة ومتعة
انظري إلى السفن الغافية فوق القنوات
كيف تأتي من آخر الدنيا
لتروي ظمأ أتفه رغباتك
والشموس الغاربة تكسو الحقول
والقنوات والمدينة بكاملها
بالذهب والياقوت
ويغفو العالم في النور الدافئ
كل شيء هناك سيكون نظاماً وجمالاً
وترفاً وسكينة ومتعة.



محادثة

CAUSERIE

أيتها السماء الخريفية الجميلة الصافية الوردية
إن الحزن في نفسي يتصاعد كمدّ البحر
ويترك عند انحساره على شفتيّ المرّتين
ذكرى مُحرقة لطعم وحله المرّ
عبثاً تنزلق يدك على صدري المبتهج
فما تبحث عنه يا صديقي هو مكان خرب
دمره ظفر وناب امرأة متوحشة
فلا تبحثي عن قلبي : لقد التهمته الوحوش
قلبي عبثت به الغوغاء
فيه يسكرون ويتذابحون
يأخذ بعضهم بنواصي بعض
في حين يطوف حول عنقك العاري عبير منعش
أيتها الحسناء ــ يا مصيبة قاسية على النفوس
هذه هي إرادتك
وبعينيك الناريتين المضيئتين كالأعياد
أحرقي هذه المِزَق التي عفّت عنها الوحوش

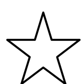


نشيد خريفي

CHANT D'AUTOMNE

سنغوص قريباً في الظلمات الباردة
فوداعاً يا تلألؤ أضواء أيام الصيف القصيرة
إني لأسمع من الآن سقوط الحطب على البلاط
كأنه إيقاع أنغام جنائزية
سيتغلغل الشتاء كله في كياني
غضب, حقد, هول, اشغال شاقة
وكالشمس في جحيمها القطبي
سيكون قلبي كتلة حمراء من جليد
صوت كل حطبة تسقط يشعرني بقشعريرة
وصدى بناء المشنقة لن يكون أقوى
فكري يشبه البرج الذي ينهار
تحت ضربات قرون تيس هائل لا يعرف التعب
يخيل لي وهذا القرع الرتيب يهدهدني
أنهم يغلقون مسرعين بالمسامير نعشاً في مكان ما لمن ؟
بالأمس كان الصيف واليوم جاء الخريف
هذه الضجة الخفية تدق كأجراس الرحيل.
أحب في عينيك الواسعتين أيتها الجميلة هذا النور المخضوضر
لكن كل شيء في فمي مرّ المذاق
لا شيء ! لا حبّك ولا غرفتك لا موقدك
كلها لا تساوي في نظري
الشمس المتلألئة على البحر
ورغم ذلك أحبيني يا ذات القلب الحنون
كوني لي أماً على الرغم من خبثي وعقوقي
وسواء كنت عشيقة أم شقيقة
كوني الحلاوة السريعة الزوال
لخريف مجيد وشمس غاربة
المهمة قصيرة الامد فالقبر ينتظرني شَرِهاً
آه دعيني ألقي بجبهتي على ركبتيك

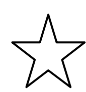
لأتذوق الشعاع الشاحب الناعم لآخر الخريف
وأنا أتحرق ندماً على الصيف الناصع المحرق



أغنية لبعد الظهر

CHANSON D' APRES-MIDI

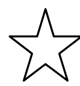
أيتها الساحرة ذات العيون الفاتنة
أيتها العبثة يا ولعي الرهيب
أعبدك كما يعبد الراهب صنمه
برغم ما يُضيفه حاجباك الماكرين عليك
من سحنة غريبة لا تنتمي لملاك.
الغابة والصحراء تعطران جدائلك المفتولة
فمحياك لغز وغموض
يطوف العطر على بشرتك كما يطوف حول مجمرة
وكالسماء تسحرين
أيتها الربة السوداء الدافئة
واهاً لك ! إن أقوى رحيق لا يفعل ما يفعله فتورك
وتعرفين المداعبة التي تبعث الحياة في الأموات
وركاك يعشقان منك الظهر والصدر
وتبهرين الوسائد بفتور حركاتك
وحتى يسكن فيك الغضب الخفي
تسرفين أحياناً في منح القبل والعضّ
وبضحكة ساخرة تمزقينني يا سمراء
ثم تضعين على قلبي عيناً كالقمر حلاوة
فتحت حذائيك الحريريين وقدميك الفاتنتين
أضع فرحي الأكبر وعبقريتي وقدري
فيك شفاء نفسي أيتها الأنوار والألوان
أنت انفجار الدفء في صقيع صحرائي السوداء



إلى سيدة خلاسية

A UNE DAME CREOLE

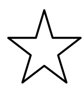
في بلد معطر الأجواء تداعبه الشمس
تعرفت تحت قبة من الأشجار الأرجوانية والنخيل
الذي يتساقط منه الكسل فوق العيون
على سيدة خلاسية مجهول المفاتن
لونها شاحب دافئ تلك السمراء الساحرة
وعلى جيدها يبدو تكلف مترفع
هيفاء فارعة القوام تخطر كقناصة
في عينيها اطمئنان وفي ابتسامتها هدوء
لو أنك سيدتي تذهبين إلى بلاد المجد العريق
على ضفاف السين أو اللوار الأخضر
لكنت جديرة أن تكوني زينة القصور القديمة
وفي الخلوات الظليلة ستكونين
الوحي الذي ينبت في قلوب الشعراء آلاف القصائد
وعيناك الواسعتان ستجعلان منهم
أتباعاً أكثر خضوعاً من عبيدك السود



الشبح

LE REVENANT

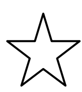
كالملائكة ذات العيون الوحشية
سأعود إلى مخدعك
وأتسلل إليك بغير جلبة مع ظلام الليل
وسأمنحك يا سمرائي
قبلاً باردة كالقمر
ومداعبات أفعوان يسعى حول وكره
وعندما يعود الصباح الكئيب
ستجدين مكاني فارغاً وسيستمر بارداً حتى المساء
وكما يحب بعضهم أن يسيطروا
بالحب على حياتك وشبابك
أنا أريد أن أسيطر بالرعب



نشيد الخريف

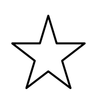
SONNET D'AUTOMNE

عيناك الصافيتان كالكريستال تقولان لي
أيها العاشق الغريب الأطوار
ما هي مزيتي في نظرك ؟
كوني فاتنة والزمي الصمت
فقلبي الذي يثيره كل شيء
ما خلا براءة الوحش القديم
لا يود إطلاعك على سرّه الجهنمي
ولا على أسطورته السوداء المكتوبة باللهب
أيتها المرأة التي تدعوني يداها المهدهدتان للنوم
إني أكره الوجد ويوجعني الفكر
دعينا نتحاب في هدوء
فالحب في كوخه المظلم الآمن
يوتر قوسه المشؤومة
وأنا عليم بذخائر مسالحه القديمة
إنها الجريمة والعرب والجنون ـ يا زهرتي الشاحبة
ألست مثلي شمساً خريفية
يا لؤلؤتي التي لا أبرد ولا أشدّ منها بياضاً



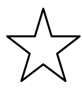
TRISTESSES DE LA LUNE

يحلم القمر بمزيد من الاسترخاء هذا المساء
كأنه حسناء تتكئ على وسائدها
تداعب بيد ذاهلة خفيفة حوافّ نهديها
قبل أن يستولي عليها النوم
وتستسلم متهالكة لانتشاءات طويلة
كأنها على متن حريري لركام ثلجي هشّ
وعيناها تجولان على الرُّؤى البيض
التي تتصاعد كأنها الأزهار في زرقة السماء
وعندما تدع دمعة خفيفة تسقط احياناً
على هذا المصباح وهي في مللها الكسول
يتناولها شاعر تقي عدوّ للرقاد
في راحة يده. هذه الدمعة الشاحبة
ذات الانعكاسات القزحية
كأنها قطعة من حجر كريم
ويخفيها في قلبه بعيداً عن عيون
الشمس



LES HIBOUX

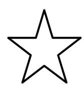
تحت الأشجار السود تجثم طيور البوم
مختبئات في صفوف منتظمة
شاخصات بعيونهن الحُمر
كأنها آلهة غريبة. إنهن يتأملن
وبلا حراك يمكثن حتى الساعة الكئيبة
التي يوطد فيها الظلام سيطرته
طارداً أشعة الشمس المنحرفة
موقفهنّ هذا يعلم الحكيم أن يخشى
في هذا العالم
الحركة والزحام
فالإنسان الذي يسكره خيال عابر
يحمل معه دائماً عقابه
الذي يكمن في إرادة تغيير مكانه



الغليون

LA PIPE

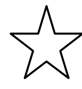
أنا غليون لأحد الكتّاب
فمن يتأمل سحنتي الحبشية
يدرك أن صاحبي مُكثرٌ من التدخين
فعندما يغمره الألم
يطلق الدخان كمدخنة كوخ
يُعَدّ في مطبخه الطعام
انتظاراً لعودة صاحبه الفلاح
إنب أعانق وأهدهد روحه
في شبكة من الدخان الأزرق
الذي يطلقه فمي الملتهب
وأصنع بلسماً قوياً يسحر قلبه
ويشفي فكره من التعب



الموسيقا

LA MUSIQUE

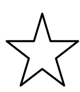
غالياً ما تحملني الموسيقا كما يحملني موج البحر
نحو نجمي الشاحب
وتحت سقف من الضباب أو في أثير واسع
أبحر
فأتسلق متن الأمواج المتراكمة التي يحجبها عني الليل
وصدري إلى الأمام ورئتاي منفوختان
كأنهما من قماش
إني لأشعر في داخلي بكل انفعالات
مركب مشرف على الغرق
وأشعر بالريح المواتية وبالعاصفة واختلاجاتها
تهدهدني فوق اللجة المترامية
وأحياناً أخرى أسمعها هادئة ملساء
كأنها مرآة يأسي الكبيرة



الميت الفَرِحْ

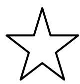
LE MORT JOYEUX

في أرضٍ خصبة مملوءة بالحلزون
أريد أن أحفر بنفسي حفرة عميقة
أدفن فيها على مهلٍ عظامي البالية
وأنام في النسيان كما ينام الحوت في أعماق البحار
إني أكره الوصايا وأمقت القبور
وأفضل وأنا بعد حيّ أن أدعو الغربان
لتمتص الدم من أطراف هيكلي القذر
على أن أستجدي دمعة من دموع البشر
أيتها الديدان السوداء
يا رافقاً لا يرون ولا يسمعون
انظروا إلى هذا الميت الفرح الآتي إليكم بحرّية
يا فلاسفة يحبون الحياة ويا أبناء العفونة
أوغلوا في هيكلي دون ندم وقولوا لي
إن كان لا يزال يوجد أيضاً
لهذا الجسد الفاني الخالي من الروح
والميّت بين الأموات
مزيد من العذاب



LE TONNEAU DE LA HAINE

الحقد برميل بنات دنائيد* الشاحبات
والانتقام يصبّ مهتاجاً بذراعين أحمرين قويين
في فراغه المظلم الهائل دِلاء مملوءة
بدماء الأموات ودموعهم
والشيطان يحفر في هذه الأعماق ثقوباً سريّة
منها يتسرب ما جمعه ألف عام من جهد وعرق
ومع ذلك فإن الحقد يعرف كيف يبعث الحياة
في ضحاياه ليعتصرها من أجسادهم من جديد
الحقد سكّير قابع في جوف حانة
يشعر بالظمأ الدائم وكلما أكثر من الشرب
تجدّد كما تتجدد رؤوس ثعبان (الإيدز)
كلما قطع منها رأس
لكن السكارى السعداء يعرفون قاهرهم
أما الحقد فتنتظره هذه الخاتمة المحزنة
بألا يستطيع أبداً أن يسعد
بالسقوط صريعاً تحت الموائد



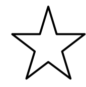
---

* اسم يطلق على الفتيات الخمسين اللواتي قتلن أزواجهن ليلة زفافهن

الجرس المصدوم

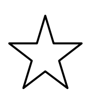
LA CLOCHE FELEE

ما أمرَّ وما أحلى أن تصغي في ليالي الشتاء
وأنت جالس قرب المدفأة التي تختلج وتطلق الدخان
إلى الذكريات البعيدة التي تستيقظ على مهل
على صوت النواقيس التي تصدح في الضباب
طوبى لك أيها الجرس القوي الحنجرة
إنك لا تزال موفور النشاط والعافية
برغم بلوغك غاية الكبر
فلا تزال قادراً على أن تطلق بأمانة
نداءك الديني كأنك جندي عجوز
يقضي الليل حارساً تحت خيمته
إن نفسي المتصدعة
عندما تريد من خلال سأمها
أن تملأ بغنائها جو الليالي الباردة
فإن صوتها غالباً ما ينطلق ضعيفاً
كحشرجة جريح منسيّ على حافة بحيرة من دم
تحت أكداس الجثث
وهو يعالج سكرات الموت دون حراك
بجهد عظيم



SPLEEN

يصبّ شهر الأمطار الغاضب على المدينة كلها
من قربته المفعمة بالأمواج المتدفقة
برداً مظلماً على السكان الشاحبين
القاطنين إلى جوار المقبرة
وموتاً على الضواحي المغلفة بالضباب
يفتش هرّي عن مرقد فوق البلاط
وهو يحرك جسده الهزيل الأجرب دون كلل
في حين تهيم روح شاعر عجوز في الميازيب
بصوت حزين كصوت شبح أنهكه البرد
الناقوس ينتحب والحطبة المشتعلة
ترافق بصوت حاد صوت الرقاص المبحوح
أما أعرج (الكبّة) ونبت (البستوني)
الإرث المشؤوم لعجوز مصابة بالاستسقاء
فقد جلسا يتحدثان بحزن
عن حبهما الراحل
في لعبة مليئة بالروائح الكريهة



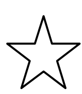
SPLEEN

كثيرة هي ذكرياتي كأني عشت ألف عام
إنها خزانة ضخمة مزدحمة الأدراج
بأوراق الجرد والأشعار والبطاقات الرقيقة
والدّعاوى والأغاني العاطفية
وخصلات الشعر الكثيفة الملفوفة بالبراءات
إن ما تخفيه من الأسرار أقل مما يخفيه وجداني الحزين
إنها كهف وهرم واسع يحوي من الجثث
فوق ما تحويه الحفرة الجماعية
أنا مقبرة عافها القمر, يسعى فيها
كما يسعى الندم دود طويل ينقضّ دائماً بنهم
على الأعزاء من أمواتي
أنا بهو قديم تملؤه الزهور الذابلة
تسكنه أكداس من الأزياء التي فات زمانها
وتستنشق فيه عبير حق مفتوح
رسوم الباستيل الشاكية
ولوحات (بوشيه) الشاحبة
لا شيء يعادل في الطول, الأيام المتعثرة
عندما يرزح تحت ركام ثقيل من ثلوج السنين,
الضجر تلك الثمرة المُرّة للّلامبالاة الكئيبة
ليأخذ أبعاداً تجعله أبدياً
فيا أيتها المادة الحية لم تعودي
سوى صخرة يحيطها رُعب غامض
تنام في قلب صحراء مغبرّة
كأبي هول تجاهله عالم غافل
وأزيل عن الخريطة
فبات مزاجه سوداوياً
ولم يعد يغني إلا على الضوء الشاحب
لأشعة الشمس الغاربة

☆

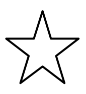
SPLEEN

ما أشبهني بملك لبلاد أمطارها كثيرة
غني ولكن عاجز, شاب ولكن عجوز مهدم
يكره انحناءات مؤدبيه
ويشعر بالملل من كلابه كما من بقية الحيوانات
فلا الطريدة تستطيع أن تدخل إلى نفسه
المرح ولا العُقاب
ولا شعبه الذي يسقط ميتاً أمام شرفته
وحتى قصائد مهرّجه المفضل المضحكة
لم تعد قادرة على تسلية هذا المريض القاسي
فقد تحوّل سريره الموشّى إلى قبر
وسيدات الحاشية اللواتي يجدن كل لأمير جميلاً
لم يعدن قادرات على ابتداع زينة فاجرة
تنتزع الابتسامة من هذا الهيكل العظمي
والعالِم الذي يصنع له الذهب
عجز عن أن ينتزع من كيانه
هذا العنصر المتهدم
وحتى حمامات الدم التي انتقلت إلينا من الرومان
والتي يتذكرها الجبابرة في أواخر أيامهم
لم تستطع أن تعيد الدفء إلى هذه الجثة الحمقاء
التي يسيل في شرايينها بدلاً من الدم
ماء نهر النسيان العَفِن



SPLEEN

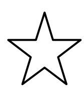
عندما تنطبق السماء المكفهرّة الثقيلة كالغطاء
على النفس الحزينة, فريسة السأم الطويل
وتل كلّ دائرة الأفق بذراعيها
وتصب عليها نهاراً قاتماً أشد حزناً من الليالي
وعندما تتحول الأرض إلى سجن عَفِن
ويغدو الأمل وطواطاً يضرب الجدران بجناحيه
ورأسه بالسقوف المتداعية
وعندما يرسل المطر خيوطه الهائلة
مقلداً بها قضبان سجن واسع
وينسج شعب أخرس من العناكب الدنيئة
شباكه في تلافيف أدمغتنا
تفاجئنا دقات أجراس غاضبة
وتطلق نحو السماء عويلاً مخيفاً
عويل النفوس الهائمة بلا وطن
عندما تلجّ بالنواح والشكوى
وعندها تتتابع في نفسي أرتال متباطئة
من العربات الجنائزية
لا يتقدمها طبل ولا موسيقا
فالأمل يبكي مقهوراً
والقلق الفظيع المتجبّر
ينحني فوق رأسي ليغرس فيه
عَلمه الأسود



معذب نفسه

L'HEAUTONTIMOROUMENOS

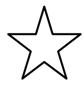
سأضربك يا نفسي دون حقد ولا غضب
كما يضرب الجزار وكما ضرب موسى الصخرة
وسأجعل جفنيك يتفجران بماء العذاب
لأروي صحرائي
وستسبح رغبتي المفعمة بالرجاء
في لجة دموعك المالحة
كما تسبح السفينة في عرض البحر
ونحيبك الغالي الذي أسكر قلبي
سيدوّي فيه كالطبل يدق دقات الهجوم
ألسْتُ اللحن الناشز في السمفونية الإلهية
بفضل السخرية النهمة
التي تهزني وتنهشني
أنا الصرخة الحادة في صوتي
والسُّم الأسود في دمي
أنا المرآة المشؤومة التي تتملى
فيها المرأة الشرسة وجهها
أنا الجرح والسكين أنا الخدُّ والصّفعة
أنا الجسد ودولاب التعذيب
أنا الجلاد والضحية
أنا مصاص دماء قلبي
وأحد هؤلاء المنبوذين العظام
الذين حُكم عليهم بالضحك المؤبد
ولكن امتنع عليهم الابتسام



الشمس

LE SOLEIL

على طول الضاحية القديمة وفي الأكواخ
التي أسدلت مغاليق نوافذها
لتستر خفايا الفجور
وعندما تصبّ الشمس المحرقة شعاعها اللاهب
على المدينة والحقول والقمح والسّطوح
أذهب وحدي لأتمرّن على لعبة المسايفة *
أستلهم القوافي في كل الزوايا والأركان
أتعثر بالكلمات كما يتعثر السائر بالبلاط
وأرتطم أحياناً بأبيات كنت قد حلمت بها طويلاً
الشمس ـــ هذا الأب الحاني ـــ تهزأ بالضعيف
وتوقظ في الحقول الدود والورود
وتبخر في الجو الهموم
وتفتح العقول وتملأ الخلايا بالعسل
تخلع الشباب على الشيوخ العاجزين
فتملؤهم بالمرح والحلاوة كالصبايا اليافعات
وتأمر المواسم بأن تنمو وتنضج
في القلب الخالد الذي يريد إزهاراً دائماً
وعندما تنزل كما ينزل الشاعر في رحاب المدن
ترفع من قدر أتفه الأشياء وأدناها
وتنزل ملكة دون ضجيج ولا حاشية
على كل المشافي وكل القصور



---

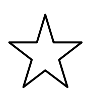
* ما يدعى في الرياضة اليوم بسيف الشيش

LE CYGNE

مهداة إلى الشاعر فيكتور هوغو

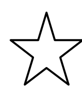
أفكر بك يا اندروماك
هذا النهر الصغير الفقير
الذي كان المرآة الكئيبة التي تألق عليها في الماضي
جلال آلام ترمُّلك
وهذا ((السيموا)) الكذاب الذي كبّرته دموعك
كل ذلك أخصب فجأة ذاكرتي المبدعة
وأنا أجتاز ((الكارّوزيل)) الجديد
باريس القدية لم يعد لها وجود, فشكل المدينة
يتبدّل وأسفاه بأسرع مما يتبدّل قلب الإنسان
إني أرى وبعين الخيال فقط معسكر الأكواخ وخيام السّيرك
والبراميل والأعشاب والكتل الصمّاء
التي لوّنها ماء الحضر بالأخضر
والأشياء التافهة المتنوعة التي تلتمع في النوافذ
هناك كانت تنتشر قديماً حيوانات العرض
وهناك رأيت ذات صباح
في تلك الساعة التي يهب فيها العمال من نومهم
تحت السماء الصافية الباردة
وتطلق الدِّمن فيها زوبعة قاتمة في الهواء الساكن
بجعة هاربة من قفصها تضرب الأرض بقائمتيها
وتجرجر ريشها الناصع على الأرض الوعرة
وتفتح منقارها عند ساقية جافة
وتعَفِّر جناحيها بالتراب, والحنين يشدّها
إلى جمال بحيرة موطنها, ولسان حالها يقول:
أيتها المياه متى تنهالين أمطاراً
ويا أيتها الصاعقة متى تنقضّين
فتراءى لي الطائر الخرافيّ العجيب التاعس كأنسان ((أوفيد))
وهو يتجه نحو السماء الداكنة الزرقة
الساخرة القاسية

وقد مدّ رأسه المتلهِّف فوق عنق متشنج
كأنه ينحي باللائمة على الله
باريس تتبدل لكن شيئاً واحداً في نفسي الكئيبة لم يتبدل
فالقصور الجديدة والمنشآت والأكوام والضواحي القديمة
كلها أصبحت في نظري منحوتة رمزية
وأعز ذكرياتي أصبحت أثقل من كتل الصخور
وأمام هذا ((اللوفر)) تعذبني صورة معينة
إني أفكر ببجعتي الكبيرة بحركاتها القلقة
المضحكة السامية كحركات المنفيين
والتي تغذيها رغبة سامية
وأفكر بك يا أندروماك وأنت ترتمين
بين ذراعي زوج عظيم
كالحيوانالعاجز بين يدي بيريس الرائع
وتتحنين مسلوبة الفكر بجانب قبر فارغ
يا أرملة ((هكتور)) وزوجة ((هيلينوس))
وأيضاً أفكر بالزنجية المسلولة المعروقة
تدوس في الوحل مُفتشة عن ثمار جوز الهند الإفريقية
بعينين زائفتين وراء أسوار الضباب
وأفكر بكل من فقد شيئاً لا يمكنه تعويضه
بالذين يشربون دموعهم ويمتصون آلامهم
كيتامى الذئبة الطيبة الناحلين الذابلين كالأزهار
أفكر بالغابة التي أصبحت منفى لعقلي
فتدق في صدري ذكرى قديمة كما يدق البوق
أفكر بالبحارة المنسيين فوق جزيرة ضائعة
بالأسرى والمغلوبين وبكثيرين غيرهم



LES AVEUGLES

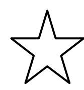
تأمليهم يا نفسي إنهم حقاً بشعون
كأنهم تماثيل لعرض الأزياء بالتخمين مضحكون
مخيفون كالسائرين في نومهم شاذون
لا يُعرف إلى أين بحدقاتهم المظلمة يتوجهون
وكأن عيونهم التي خبت فيها الشعلة الإلهية
تبقى مرتفعة إلى السماء كأنما للبعيد يتطلعون
لا أحد يراهم أبداً برؤوسهم المثقلة الحالمة
نخو الأرض ينحنون
ويجتازون هكذا الظلام اللامحدود
هذا الشقيق الخالد للصمت فيا أيتها المدينة
بينما أنت تضحكين حولنا وتغنين وتصرخين
يستغرقك السرور حتى الشراسة
انظري إليّ كيف أجر نفسي أنا أيضاً
وبأكثر مما يفعلون ذهولاً وأقول:
عن أي شيء يبحث في السماء
كل هؤلاء العميان



إلى عابرة

A UNE PASSANTE

كان الشارع الذي يصمّ الآذان من حولي يولول
ومرت حسناء نحيلة فارعة القد
مجللة بالسواد يلفها حزن مَهيب
ترفع وتحرك بيد مترفة أذيال ثوبها المطرّز
تتسم بالنبل والرشاقة وتحظى بساقي تمثال
وأنا كنت أعب كمن أخذه الهذيان
من عينيها ــ تلك السماء الداكنة ــ
الحلاوة الساحرة واللذة القاتلة
يا للألق الذي يعقبه الليل أيتها الحسناء الهاربة
التي جعلتني نظرتها أخلق فجأة من جديد
أفلن أراك أبداً إلا في الأبدية
أفلن أراك في مكان بعيد من هنا
بعد فترة طويلة أو قد لا أراك مطلقاً
لأني لا أعرف إلى أين تهربين
وأنت لا تعرفين إلى أين أذهب
يا أنت التي كان من الممكن أن أحبها
يا أنت التي تعرفين ذلك

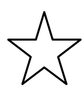


شفق المساء

LE CREPUSCULE DU SOIR

أقبل المساء الفاتن صديق القاتل
إنه يزحف كالمجرم بخطوات مكتومة
والسماء توصد أبوابها ببطء كمخدع كبير
فينقلب الإنسان النافذ الصبر وحشاً ضارياً
أيها المساء ـــ المساء الحبيب الأثير على
من تستطيع يداه أن تقولا غير كاذبتين
عَمِلنا اليوم ـــ
إاه المساء الذي يُعزّي النفوس
التي تنهشها أقسى الآلام
ويعزّي العالِم العنيد الدؤوب المثقل الجبهة
والعامل الذي يعود إلى فراشه محنيّ الظهر
في المساء تستيقظ الشياطين المفسدة في الأجواء
متثاقلة كأنها رجال الأعمال
وتصطدم وهي تطير بالمصاريع والأفاريز
عبر الأضواء التي تعصف بها الريح
ويحتدم العُهْر في الشوارع ـــ قرى النمل ـــ
يفتح منافذه ويشق لنفسه في كل مكان
طريقاً خفياً كالعدو المهاجم
ويتحرك كالدود في قلب مدينة الوحول
يغتصب من الإنسان قوته
وفي المساء يُسمع هنا وهناك صفير المطابخ
وصراخ المسارح وصخب الموسيقا
وتمتلئ موائد الضيوف بالعاهرات
ومن تواطأ معهن من النصابين واللصوص
ليستأنفوا عملهم بلا وازع من ضمير
فيدهمون برفق الصناديق والبيوت
ليؤمِّنوا عيشهم لبضعة أيام
ويوفروا لخليلاتهم الكساء

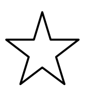
فاستغرقي يا نفسي في التأمل
في هذه اللحظة العصبية
وأصمي أذنيك عن هذا الهدير
فهذه هي الساعة التي تشتدّ فيها آلام المرضى
لأن الليل المظلم يأخذ بخناقهم
فتنتهي أيامهم ويندفعون إلى الهُوّة المشتركة
بعد أن تمتلئ المشافي بآهاتهم
ولن يأتي أكثرهم لتناول الحساء اللذيذ
قرب النار إلى جانب من يحب
لأن الكثيرين لم يعرفوا مطلقاً حلاوة الالتفاف حول الموقد
ولا حلاوة العيش الحقيقي



روح الخمر

L'AME DU VIN

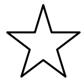
أنشدت روح الخمر ذات مساء في القوارير
إليك أيها الإنسان العزيز المحروم
أطلق من جسني الزجاجي وختمي الذهبي
نشيداً مليئاً بالضياء والإخاء
أنا أعرف الجهد الذي تحتاجه الربوة الملتهبة
من الكدح والعرق والجهد وأشعة الشمس المحرقة
حتى أولد وتدبّ في كياني شعلة الحياة
لكني لن أكون عاقه ولا شريرة
لأني أشعر بغبطة عظيمة
وأنا أنحدر في حلق إنسان أنهكه العمل
فإن صدره الدافئ سيكون لي قبراً
أحلى وأمتع من الكهف البارد الذي كنت فيه
هل تسمع صوت تراتيل الأحد تتردد
والامل الذي يزغرد في صدري الخافق
فعندما تشمّر عن ساعديك لتضعهما على المنضدة
سوف تمجدّني وتشعر بالفرح
سأسكب اللهب في عيني زوجتك المفتونة
وأعيد لولدك قوته وتورّد خدّيه
وسأكون للرياضيّ الذي أوهنت ذراعيه
أعباء الحياة
الزيت الذي يشدّ من عضلات الكادحين
وفي جوفك ساسقط رحيقاً نباتياً
وحبة ثمينة ألقى بها الزارع الأزلي
كي يُنبت حبنا شعراً
يتصاعد نحو العرش الإلهي
كزهرة نادرة



LE VIN DES CHIFFONNIERS

على ضوء مصباح الشارع المحمرّ
الذي تتلاعب بفتيله الريح وتصفع فيه الزجاج
وفي قلب ضاحية قديمة تشبه المتاهة الموحلة
فيها يزدحم الناس بصخب وضجيج عاصفين
يقبل لقاط الخرق وهو يهزّ رأسه
ويصطدم بالجدران ويضربها كأنه شاعر
دون أن يلقي بالاً إلى الوشاة من أتباعه
ليسكب ذوب قلبه في مشاريع مجيدة
فيقسم الأيمان ويملي أسمى القوانين
يصرع الخبثاء ويأخذ بيد الضحايا
وتحت السماء الممتدة كالسرادق المعلق
ينتشي بروائع فضائله الشخصية
أجل إن هؤلاء الذين أرهقتهم هموم العائلة
وطحنهم الكدح وعذبتهم السنون
وقصمت ظهورهم المحنية تحت أكداس النفايات
التي قذفتها باريس الهائلة من جوفها
سيعودون وقد ضمّختهم عطور الدّنان
يتبعهم رفاق بيّضت نواصيهم المعارك
تتدلى شواربهم كأعلام قديمة
وتنتصب أمامهم
البيارق والزهور وأقواس النصر باحتفال سحري
وفي ضجيج هذه العربدة المتلألئة
للأبواق والشمس والصراخ والطبول
سيأتون بالمجد للشعب المنتشي بالحُبّ
هكذا تنثر الخمر عن طريق حلق الإنسان
وعبر مسيرة الإنسانية العابثة اللاهية
الذهب من منبعه الساحر
يفني مآثره ويسود بعطاءاته

سيادة ملك حقيقي
والله الذي أدركه الندم
صنع النعاس ليغرق فيه أحقاده
هؤلاء العجائز المنبوذين ويهدهد
أحلامهم
فأضاف الإنسان إلى ذلك الخمرة
تلك الابنة المقدسة للشمس

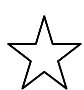


خمرة القاتل

LE VIN DE L'ASSASSIN

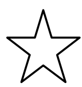
أنا حر فزوجتي ماتت وأستطيع إذاً
أن أشرب حتى الثمالة
حين كنت أرجع إليها خالي الوفاض
كان صراخها يقطع نياط قلبي
أنا سعيد الآن كملك
فالهواء نقيّ والسماء رائعة
لقد كان لنا مثل هذا الصيف عندما وقعت في حبها
الظمأ الرهيب يمزقني. وحتى أرتوي أحتاج
إلى سعة قبرها من الخمر
وهذا ليس بالشيء القليل
لقد قذفتها في جوف بئر
وفوقها ألقيت بكل ماعلى حافتيه من أحجار
وسأنساها إن استطعت
رجوت منها موعداً عند المساء على طريق مظلمة
باسم ما يربطنا من حنان وقسَم لا فكاك منهما
وحتى نعيد الصفاء بيننا
كما في الأيام الجميلة من غرامنا
وأتت ــ المخلوقة الحمقاء ــ
ونحن هكذا يعترينا أحياناً الجنون
كانت بعدُ جميلة بالرغم من تعب السنين
وأنا كنت مولعاً بها ولهذا قلت لها:
اخرجي من هذه الدنيا
لا أحد يستطيع فهمي. هل من واحد
من هؤلاء السكارى المجانين
يفكر في لياليه السقيمة
أن يصنع من الأكفان خمراً ؟
هذه الفاجرة المحصنة كقضبان سكك الحديد
لم تعرف الحب الحقيقي يوماً لا في صيف ولا شتاء

على الرغم من سحرها الأسود
وموكب ذعرها الجهنمي
وقوارير سُمّها ودموعها
وصليل سلاسلها وعظامها
ها إني حرّ وحيد
سأسكر هذا المساء حتى أفقد الوعي
ثم أرقد لأنام على الأرض كالكلب
دون خوف ولا ندم
وباستطاعة العربة الثقيلة
الملأى بالطين والحجارة
وكذا القاطرات الشديدة السرعة
أن تسحق رأسي المجرم
أو تشطرني نصفين
سيان إني لأهزأ بالجنة والجحيم
وبالمائدة المقدسة....



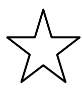
LE VIN DES AMANTS

الفضاء اليوم مشرق زاه
فلنسافر على جواد من خمر
بغير رَسَن ولا شكيم ولا مهماز
إلى سماء سحرية رائعة
ولنقتفِ أثر السّراب البعيد
في زرقة الصباح الصافي
كملاكين يسوقهما قدر محتوم
مهدهدين برفق فوق جناحي
زوبعة غير هوجاء
وسنسبح يا شقيقة روحي بجنون مواز
بلا راحة ولا هدنة
إلى فردوس أحلامي



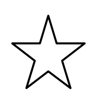
LA DESTRUCTION

يضطرب الشيطان بغير انقطاع إلى جانبي
يسبح من حولي كهواء لا يمكن لمسه
فأبتلعه وأحس به يلهب رئتي
ويملؤها شهوة آثمة أزلية
وأحياناً ينتهز حبي الكبير للفن
فيتخذ شكل امرأة بارعة الحسن والجمال
ويتذرع بحجج خادعة من الهموم
ليعوّد شفتي على مشروبات كريهة
وهكذا يقودني بعيداً عن نظر الله
لاهثاً محطماً من التعب
إلى أعماق سهول الضجر المترامية القاحلة
ويقذف في عينيّ الممتلئتين حَيْرة
خِرَقاً ملوثة وجراحاً فاغرة
وآلة للهدم مضرّجة بالدم



LA FONTAINE DE SANG

يخيّل لي أحياناً بأن دمي يجري هدّاراً
كينبوع إيقاعيّ النحيب
وأسمعه يسيل بخرير متصل
لكني عبثاً أتفحص نفسي لأجد جرحي
وعبر المدينة يندفع كأنه في حقل فسيح
ليحوّل البلاط إلى جزر صغيرة
وليروي ظمأ كل مخلوق
ويلوّن الطبيعة بالحمرة
وغالباً ما طلبت من الخمور الخادعة
أن تُسَكّن ولو ليوم واحد
الرعب الذي يستأكلني
فالخمر يجعل العين أكثر صفاء والأذن أدق سمعاً
وبحثت في الحُبّ عن إغفاءة بلا هواجس
لكن الحب لم يكن لي سوى فراش من قتاد
وُجد ليروي ظمأ تلك الفتيات
اللواتي هن بغير قلب



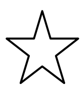
رحلة إلى جزيرة سيثير

UN VOYAGE A CYTHERE

كان قلبي يرفرف فرحاً كعصفور
ويحلق طليقاً حول حبال السفينة
وهي تشقُّ العُباب تحت سماء بلا غيوم
كملاك أسكرته الشمس المتألقة
ما هذه الجزيرة السوداء الحزينة ؟
قيل لنا إنها ((سيثير)) البلد الذي اشتهر في الأغاني
والموئل الأسطوري التافه
لكل الكهول العزّاب
انظروا إليه إنه أرض فقيرة
يا جزيرة أعذب الأحلام وأحلى الأعياد
أن شبح ((فينوس)) الرائع
لا يزال يحوم فوق بحارك كما يحوم الشذا
ويملأ النفوس بالحب والفتور
أيتها الجزيرة الرائعة المفروشة بالآس
والغارقة بالأزهار
أيتها المباركة إلى الأبد من جميع الأمم
أن تنهدات القلوب المُتعبّدة
تتصاعد فيها كالبخور فوق بستان من الورد
وكهديل الحمام الخالد
لكن سيثير لم تَعُد سوى بقعة جرداء
وصحراء صخرية يقلقها صراخ حاد
ولكني لمحت فيها شيئاً فريداً
لم يكن ما رأيته معبداً تظلله الأشجار
تطوف به الكاهنة الشابة التي تعشق الأزهار
وقد ألهبت جسدها نار خفية
فشقت ثوبها التماساً للنسمات العابرة
فعندما كنا نساير الشاطئ عن قرب
ونروّع العصافير بأشرعتنا البيضاء

طالعتنا مشنقة بثلاث ركائز
تنتصب سوداء في الفضاء
كشجرة الشربين
وجوارح الطير تحط على هذا المرعى
وتفتك بنهم بمشنوق قد نضج
وكل جارح منها يغرس منقاره النتن كآلة حادة
في كل ركن مُدمّى من هذه الجيفة المتعفنة
كانت العينان تجويفين فارغين
ومن بطنه المبقور كانت الأمعاء الثقيلة
تسيل على الفخذين
وقد أسبعه جلادوه المتخمون
بهذه الوليمة الكريهة
بضربات مناقيرهم تشويهاً وخصياً
وتحت أقدامه راح قطيع من الحيوانات الحاقدة
يدور ويطوف يتوسطه وحش ضخم
كأنه الجلاد يبن زبانيته
يا ساكن سيثير يا طفل سماء رائعة الجمال
عانيت الاحتقار بصمت تكفيراً
عن مبادئك الدنيئة وخطاياك التي حرمتك من القبر
أيها المشنوق المضحك, آلامك هي آلامي
وعندما أنظر إلى أطرافك المُدلاة
كنهر طويل ينساب بالحقد والألم
أشعر بالقيء يتصاعد إلى فمي
فأمامك أيها المسكين الذي أعزّ ذكراه
أشعر بوقع منقار كل غراب
وفكّ كل فهد أسود
فهؤلاء كانوا في الماضي يتوقون إلى سحق لحمي
كانت السماء رائعة والبحر أملس كالمرآة
لكن كل شيء في تظري أصبح دامياً أسود
لاني كنت أشعر واأسفاه
كأن قلبي لفّ في كفن سميك
ودفن في هذه المنحوتة الرمزية

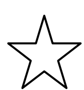
لم أجد في جزيرتك قائماً يا فينوس
سوى مشنقة رمزية تتدلى منها صورتي
فامنحني يا ربُّ القوة والشجاعة
على تأمل قلبي وجسمي بلا قرَف



LES LITANIES DE SATAN

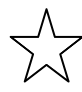
أنت يا أجمل وأبرع ملك بين الملائكة
ياإلهاً خانه الحظ وحُرم من المديح
أيها الشيطان ارحم بؤسي الطويل
يا أمير الغربة يا مظلوماً
يا من إذا قهر نهض دائماً أقوى وأصلب
أنت يا من تعرف كل شيء
يا ملكاً عظيماً للخفايا
وشافي الإنسانية من قلقها وحيرتها
أنت يا من تعلّم حتى للبُرص والمنبوذين الملعونين
تذوّق طعم الفردوس عن طريق الحُب
أنت يا مَنْ مِنَ المنيّة عشيقة العجوز القوية
أنجبت الأمل الفاتن المجنون
أنت يا من تمنح المحكوم بالإعدام
النظرة الهادئة المتعالية
التي تدين شعباً كاملاً يلتف حول مشنقته
أنت يا من يعرف في أي ركن من الأرض المشتهاة
يخبئ الله الغيور الأحجار الكريمة
أنت يا من تعرف عينك المضيئة
الخبايا العميقة
التي ينام فيها مدفوناً عالم المعادن
أنت يا من بيدك الكبيرة تستر الهاوية
التي يطوف حولها السائر في نومه
أنت يا من تعيد العظام المحطمة
لسكّير عجوز داسته سنابك الخيل لينة
أنت يا من علمتنا كيف نخلط ملح البارود بالكبريت
لتدخل العزاء إلى قلب الإنسان الضعيف
الذي يعتصره الألم
أنت أيها الشريك البارع تضع ميسمك

على جبهة قارون الدنيء القاسي
أنت يا من تودع عيون وقلوب الفتيات
عبادة الجُرح وحب الأسمال
يا عكاز المنفيين ومصباح المخترعين
والكاهن الذي يتلقى اعتراف المشنوقين والمتآمرين
أيها الأب الذي تبنّى كل الذين طردهم الله الآب
بغضبه الأسود من جنة الفردوس
أيها الشيطان ارحم بؤسي الطويل
المجد والمديح لك أيها الشيطان
في أعالي السماء حيث كنت تسود
وفي أعماق جهنم
حيث تحلم بصمت بعد هزيمتك
دع نفسي تسترح يوماً بقربك
تحت شجرة المعرفة
في الساعة التي تنتشر فيها أغصانها
كأنها هيكل جديد



LA MORT DES AMANTS

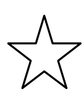
سيكون لنا مضاجع مفعمة بالعطور الناعمة
وأرائك عميقة بعمق القبور
وزهور غريبة على الرفوف تتفتح لأجلنا
تحت سموات لا أحلى ولا أجمل
وسوف يكون قلبانا مصباحين كبيرين
يستنفدان متنافسين البقية الباقية من حبهما
ويعكسان أنوارهما المضاعفة
على روحينا: المرآتين التوأمين
وفي مساء وردي اللون رمزي الزرقة
سنتبادل وميض الحب الوحيد
كزفير طويل مثقل بحرارة الوداع
وسيأتي ملاك مخلص فَرِحْ
ليفتح الأبواب
فيبعث الحياة في المرايا الخامدة
واللهب المنطفئ



موت الفقراء

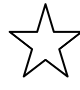
LA MORT DES PAUVRES

إنه الموت الذي يعزّي واحسرتاه
وهو الذي يحملنا على الحياة
إنه غاية الحياة والأمل الوحيد
الذي يرفعنا ويبعث كالإكسير النشوة في نفوسنا
ويزوّدنا بالجرأة التي تجعلنا نتابع الطريق إلى النهاية
عبر الإعصار والثلج والجليد
هو الضوء المتموّج في آفاقنا السّود
إنه الفندق الذائع الصيت
الذي يوفر الطعام والراحة والنوم
إنه الملاك الذي يحمل بين أصابعه السحرية
الرقاد ونعمة الأحلام السعيدة
ويسوي مضاجع الفقراء والعراة
هو مجد الآلهة ومخزن الغلال الرمزي
وكيس نقود الفقراء وموطنهم القديم
إنه الرواق المفتوح على الآفاق
المجهولة...



LA MORT DES ARTISTES

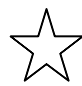
كم عليّ أن أختال مُقَبِّلاً جبهتك المكفهرة
أيتها الصورة الهزلية الكئيبة
وكم سهماً عليّ أن أطلق من كنانتي
لأصيب الهدف من هذه الطبيعة الرمزية
إننا نستنفد طاقتنا في مؤامرات بارعة
ونهدم العديد من الأسس الهامة
قبل أن نتأمل العالم الواسع
الذي تملؤنا رغبته الجهنمية بالنحيب
في هذا العالم من لم يعرف قط معبوده
وهؤلاء النحاتون المعذبون الموسومون بالعار
الذين يدقون الصدور والوجوه
وليس لهم سوى أمل واحد
ويا له من مقر غريب مظلم
هو أن الموت المحلق كشمس جديدة
سوف يعمل على تفتيق أزهار عبقريتهم



غروب الشمس الرومانسي

LE COUCHER DU SOLEIL ROMANTIQUE

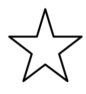
ما أجمل شروق الشمس عندما
تطلق إلينا تحيتها كأنها انفجار
سعيد هو الإنسان الذي يستطيع بحب
أن يودّع غروبها الأروع من الحلم
أتذكر أني رأيت كل شيء
يتفتح تحت نظرها كقلب يخفق
الزهر والينبوع وأخدود الفلاح
لنسرع نحو الأفق قبل فوات الأوان
لنسرع حتى نظفر على الأقل بشعاع مائل
عبثاً أطارد الإله المنسحب
فالليل الذي يوطد مملكته
سوداء رطبة مشؤومة ومملوءة بالرّعشات
ورائحة القبور تسبح في الظلمات
وقدماي المذعورتين تطآن على ضفاف المستنقع
ضفادع غير منظورة وحلزوناً بارداً



نهر النسيان

LE LETHE

تعالي إلى قلبي أيتها الروح القاسية الصمّاء
أيها النمر المعبود والوحش اللامبالي
أريد أن أغرق أصابعي المرتجفة
في عمق شعرك الكث
وأن أدفن رأسي الموجع
في تنانيرك المملوءة بعطرك
وأن أستنشق الأثر الناعم لحبي الراحل
كأنه زهرة ذابلة
أريد أن أنام. أن أنام لا أن أعيش
أنام في رقاد أحلى من الموت
وسأنثر قبلاتي بلا ندم
على جسدك الجميل المصقول كالنحاس
ولكي أدفن عبراتي وأهدئها
لا شيء عندي يعادل لجّة مضجعك
فالنسيان القادر يسكن حول فمك
ونهر النسيان يتدفق من قبلاتك
وإني أستسلم لقدري مختاراً هانئاً
كشهيد مطيع بريء محكوم
لكن ورعه يزيد في عذابه
ولأغرق حقدي سوف أشرب
شراب النسيان وماء الشوكران
من على أطراف جيدك الجميل
الذي لم يأسر قلباً مطلقاً

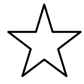


إلى التـي تفيض فرحاً

A CELLE OUI EST TROP GAIE

محياك طلعتك حركاتك
كلها جميلة كمنظر طبيعي رائع
ويلهو في وجهك الفرح
كما يلهو النسيم في سماء صافية
والكآبة العابرة التي تمر بك
يبهرها منك تفجر العافية
التي تنبثق كالشعاع
من ذراعيك ومن كتفيك
والألوان الصارخة
التي توشّي بها زينتك
تتراءى للشعراء
كأنها رقص من الأزهار
هذه الأثواب الباهرة هي رمز لعقلك المبرقش
أيتها المجنونة التي بها جننت
والتي أكرهها بقدر ما أحبها
فأحياناً وأنا في حديقة جميلة
أحسّ بالشمس تمزق صدري
كما تمزقه السّخرية
والربيعوالاخضرار
كثيراً ما أشعراني بالمهانة
ولأنتقم من وقاحة الطبيعة
أصب غضبي على زهرة
وهكذا في ليلة من الليالي
عندما تدق ساعة الرغبة
أريد أن أزحف نحو كنوز جسدك
كما يزحف الجبان متستراً بالصمت
حتى أعذب جسدك الغض
وأثخن بالجراح نهديك

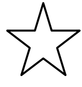
وأطعن جنبك الذي أخذه العجب
طعنة عريضة وعميقة
وأنفث سمي عبر شفتيك
بحلاوة تبعث الدّوار
هاتين الشفتين اللتين
لا أبهى منهما ولا أجمل
يا شقيقة روحي



LES BIJOUX

كانت الحسناء الغالية عارية
ولما كانت تعرف ما أحب
لم تحتفظ إلا بحليها الرنان
وقد خلع نفيسه عليها
هيئة المنتصرين التي كانت
للعبيد البرابرة في أيامهم السعيدة
هذا العالم المُشع من المعدن والجواهر
عندما يلقي وهو يرقص
صليله الحيّ الساحر
يسحر روحي وأنا أحب حتى الجنون
الأشياء التي يختلط فيها الصوت. وبالضوء
كانت مضطجعة ومستسلمة للحب
ومن أعلى أريكتها كانت تبتسم بارتياح
لحبي العميق اللذيذ الذي كان يتصاعد نحوها
كما تتصاعد أمواج البحر نحو الشاطئ
كانت تحدّق فيّ بنظرة تائهة حالمة
كالنمر المُروَّض وتجرب أوضاعاً
اختلط فيها العُهْر بالطهْر
فخلع على تقلباتها سحراً جديداً
وذراعاها وساقاها وفخذاها وخصرها
المصقولة كالزيت والمتموجة كالبجعة
كانت تتابع أمام عينيّ الصافيتين الهادئتين
أما بطنها وثدياها, عناقيد كرمتي الشهية
فقد كانت تتقدم نحوي
أكثر غنجاً من ملائكة الشرّ
لتعكر السكينة التي تعيش فيها نفسي
ولتزيحها عن صخرة الكريستال
التي تربَّعت عليها وحيدة هادئة

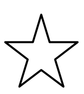
كنت أخالني أرى صورة جديدة
تجمع بين ردفي ظبي وجذع يافع أمرد
من كثرة ما كانت قامتها تبرز وركها
وعلى لونها الأشهب الأسمر
كانت زينتها رائعة
فعندما مات ضوء المصباح
ولم يبق ما ينير الغرفة سوى نار الموقد
كان جلدها الذي هو بلون العنبر
يغرق بالدم في كل مرة
كانت تنطلق فيها زفرة مشتعلة



النافورة

LE JET D'EAU

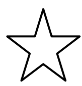
عيناك الجميلتان متعبتان
أيتها العاشقة المسكينة
احتفظي بهما مغمضتين طويلاً
في هذا الوضع الفاتر الذي فاجأتك عليه اللذة
النافورة تثرثر في الفناء
ولا تسكت لا في الليل ولا في النهار
إنها تغذي بهدوء, النشوة
التي أغرقني بها الحب هذا المساء
الباقة المتفتحة بألف زهرة,
والتي وزع عليها تابع زحل المبتهجة ألوانه
تتساقط دموعها الغزيرة كالمطر
هكذا روحك التي أحرقها وميض الشهوات
تندفع سريعة جريئة نحو السموات الواسعة المسحورة
ثم تنسكب متلاشية كموجة كئيبة حالمة
وتتساقط على منحدر مستتر إلى أعماق قلبي
أنت التي جعلها الليل في غاية الجمال
ما أحلى أن أنحني على نهديك
لأصغي إلى الشكاة الأزلية
التي تنتحب في الأحواض
فيا قمراً وماءً مفرداً وليلاً مقدساً
أيتها الأشجار التي ترتجف حولها
إن حزنك الصافي هو مرآة حبي
الباقة المتفتحة بألف زهرة
والتي وزع عليها تابع زحل ألوانه
تتساقط دموعها الغزيرة كالمطر



عينا بيرت

LES YEUX DE BERTHE

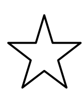
تستطيعان أن تحتقرا
أجمل العيون
يا عيني بنيَّتي اللتين يقطر منهما ويهرب
ما لست لأعرفه من طيّب وعذب كالمساء
أيتها العينان الفاتنتان. صبّي عليّ سوادك الفاتن
يا عيني بنيَّتي الواسعتين
أيتها الأروقة المعبودة
تشبهين الكهوف المسحورة
المختفية وراء ركام الظلام الفاتر
حيث تتلألأ في الخفاء كنزو مجهولة
عينا بنيَّتي عميقتان نجلاوان
سوداوان كسوادك أيها الليل الواسع
مشعتان مثلك
وأنوارهما هي خواطر الحب المختلط بالإيمان
شهوانية أو عفيفة



أنشودة

HYMNE

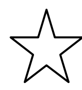
إلى التي لا أعز ولا أجمل
تلك التي تملأ قلبي بالضياء
إلى الملاك والمعبود الخالد
تحية له في خلوده
إنها تنتشر في حياتي
كالهواء المشبع بالملح
وتسكب في روحي الظامئة
طعم الخلود
أيها الحُقْ الدائم النّداوة
الذي يُعطر الأجواء بعطر ثمين
يا جمرة منسية تعبق سرّاً خلال الليل
كيف نُعَبِّرُ عنك بصدق
أيها الحب الذي لا يقبل الفساد
يا حبة من المسك ترقد
مختفية في أعماق أبديتي
إلى التي لا أحلى ولا أجمل
وصانعة أفراحي وعافيتي
إلى الملاك والمعبود الخالد تحية له في خلوده



وعود وجه

LES PROMESSES D'UN VISAGE

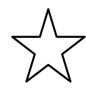
أيتها الجميلة الشاحبة
أحب قوسي حاجبيك
اللذين كأنهما يسيلان ظلاماً
فعيناك رغم سوادهما
توحيان إليّ بخواطر ليست أبداً متشائمة
عيناك المنسجمتان مع سواد شعرك
وكثافته الحريرية
تقولان لي بفتور
يا عاشق ربة الفن, أن أردت
أن تتبع الأمل الذي بعثناه فيك
وكل الأذواق التي تعتنق
فسوف يتأكد لك صدقنا
من السرّة حتى الردفين
وسوف تجد في أطراف النهدين الرائعين الممتلئين
وسامين برونزيين عريضين
وتحت بطن مصقول ناعم كالمخمل
داكن كجلد راهب بوذي
جزّة نفيسة, هي حقاً توءم هذا الشعر الكثيف
ليّنة مجعَّدة, وتضاهيك كثافة
أيها الليل بلا نجوم أيها الليل المظلم



الفدية

LA RANCON

حتى يدفع الإنسان فديته
عليه أن يستصلح حقلين
ويحرث ويزرع بالحديد والفكر
تربتهما العميقة الغنية
ولكي يجني بعض السنابل
وحتى يقطف أقل وردة
عليه أن يرويها دون انقطاع
بعرق جبينه المكفهرّ المالح
فأول حقل هو الفن والثاني هو الحب
ولإرضاء هذا القاضي
عندما يُسفر القضاء الصارم
عن اليوم الرهيب
ينبغي أن تُعْرَض عليه
الأهراء الممتلئة بالحصاد
والأزاهير التي تحظى بتأييد الملائكة
بأشكالها وألوانها

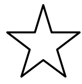


إلى فتاة من ملبار

A UNE MALABARAISE

قدماك ناعمتان كيديك
وردفاك العريضان يثيران غيرة أجمل النساء البيض
جسدك الناعم الغالي عزيز على الفنان الحالم
وعيناك النجلاوان المخمليتان
هما أشد سواداً من بشرتك
ففي البلاد الدافئة الزرقاء حيث خلقك الله
كانت مهمتك أن تشعلي غليون سيدك
وتملئي قواريره بالماء والعطور
وتدفعي عن مضجعه البعوض المحوِّم
وعندما يطلق الصباح غناء أشجار الشربين
تذهبين إلى السوق لشراء الموز والأناناس
وفي النهار تسوقك قدماك العاريتان
إلى حيث تشائين
وتدندنين بصوت خفيض ألحاناً قديمة مبهمة
وعندما ينشر الليل رداءه القرمزي
تضعين جسدك بهدوء على حصير
وتستسلمين لأحلام ملأى بالعصافير الملونة
الفاتنة المزهرة دائماً مثلك
فلماذا ترغبين برؤية بلدنا فرنسا
أيتها الفتاة المغمورة بالسعادة
هذا البلد الشديد الزحام
الذي تعصف بأهله الآلام
فتستسلمين لأذرع البحارة القوية
وتطلقين إشارات الوداع لأشجار البلح العزيزة
أنت التي ترتدين غلالة شفافة هنا
لا تستر من جسدك سوى نصفه
سترتجفين هناك تحت الثلج والزمهرير
وعندما يضغط المشد القاسي على جنبك

ستبكين فراغك الحر اللذيذ
وعليك أن تجمعي طعامك من وحولنا
وتبيعي عطر مفاتنك الغريبة
ولسوف تلاحق عيناك الزائغتان
من خلال ضبابنا القذر
أشباح أشجار جوز الهند البعيدة
المبعثرة هنا وهناك

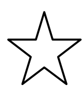


فيما يتعلق بثقيل يدَّعي صداقتك

APROPOS D'UN IMPORTUN QUI SE DISAIT SON AMI

أخبرني أنه فاحش الثراء لكنه يخشى الكوليرا
يهزأ بما يملكه من ذهب لكنه يتذوق الأوبرا
وأنه يهيم بالطبيعة لأنه تعَرَّف بالسيد كورث
وأنه حالياً لا يملك سيارة ولكن ستكون له قريباً واحدة
قال إنه يحب الرخام والقرميد
والأخشاب السوداء المُذهَّبة
وأن ثلاثة وكلاء من حاملي الأوسمة
يديرون له مصنعه
وأنه يملك عدا أشياء كثيرة أخرى
عشرين ألفاً من أسهم الشمال
وأنه وجد حتى لحواجز داخل ثمار الجوز
أطراً كأنها أطر الرسام أوبينور
وأن له من السلع ما لا يقوى على حمله
وأنه في سوق البطريرك
قام بعدة صفقات رابحة
أخبرني أنه لا يحب زوجته كثيراً
ولا يحب أمه لكنه مؤمن يخلود الروح
وأنه قرأ نيبواييه
أخبرني أنه يميل للمتع الجسدية
ففي إقامة مملة قضاها في روما
تعرَّف على امرأة مسلولة
قضت من شدة حبها له
وهكذا مضى خلال ثلاث ساعات ونصف
يسرد عليّ حياته حتى صدَّع رأسي
هذا الثرثار الآتي من ((تورنيه))
ولو أني أجبرت على وصف عذابي لما انتهيت
كنت أحدِّث نفسي وأنا أكبت حقدي
ألن يترك لي على الأقل مجالاً لأنام

وكما يفعل المنزعج الذي لا يجرؤ على ترك مكانه
رحت أحكُّ بالمقعد قفاي
وأنا أتمنى لو أني أضعه على خازوق
هذا الوحش المدعو ((باستونييه))
كان هارباً من الوباء
أما أنا فسأهرب إلى مقاطعة بعيدة
وأقذف نفسي في الماء
أذا كان عليِّ أن ألاقي
عند عودتي إلى باريس
ذاك الذي يخاف منها, هذا الثقيل,
هذا الوباء المولود في ((تورنيه))

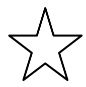


غزلية حزينة

MADRIGAL TRISTE

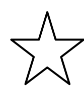
ما همني أن تكوني حكيمة عاقلة
أريدك جميلة حزينة
فالدموع تضفي على الوجه السحر
الذي يخلعه النهر على الطبيعة
كالعاصفة تجدِّد شباب الأزهار
أحبك عندما يهرب الفرح من جبينك المُرتاع
وعندما يغرق قلبك في الرُّعب
وعندما تنتشر على حاضرك
غيوم ماضيك المثقل بالخطيئة
أحبك عندما تذرف عيناك الواسعتان
دمعاً ساخناً كأنه الدم
وعندما يعذبك قلق ثقيل
كحشرجة المحتضر
بالرغم من ذراعي اللتين تهدهدانك
أتوق إلى شهيق الدموع في صدرك
يا نشوة إلهية ونشيداً عميقاً عذباً
وأعتقد أن ما تذرفه عيناك من لآلئ
يضفي على قلبك الضياء
أعرف أن قلبك المترع
بحب قديم منسيّ لا يزال متوهجاً كالموقد
وأنك تخفين في صدرك
بعضاً من كبرياء المعذبين
ولكن يا عزيزتي طالما أن أحلامك
لم تعكس بعدُ نيران الجحيم
ولم تحلمي بعدُ بالسمَّ والسيف
ولم تولعي بالبارود والحديد
تحت وطأة كابوس ثقيل لا يرحم
ولم تفتحي إلا بحذر لكل طارق

أو ترتعشي عندما يحمَّ القضاء
فلن تتذوقي أبداً
عناق القرف الذي لا يقاوم
لن تستطيعي أيتها الملكة المُقيَّدة
التي لا تمنح الحب إلا خائفة
أن تقولي في هول الليالي الموبوءة
ونفسك مملوءة بالصراخ
أواه يا مليكي أنا نِدُّك



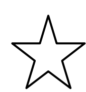
L'AVERTISSEUR

كل إنسان جدير بهذا اللقب
ينطوي داخله أفعى صفراء
تتخذ من قلبه عرشاً تعتليه
فإذا قال: أريد. تجيب: لا
أغرقْ ناظريك
في العينين المحدقتين
لحوريات البحر إلاهات الأساطير
فتقول لك السنّ: فكّر بواجبك
انجب أطفالاً, اغرس أشجاراً
اصقل زجاجاً وانحت رخاماً
فتقول لك السِّن: هل ستعيش حتى المساء
فمهما رسم الإنسان من خطط
أو بنى من آمال
فإنه لن يعيش لحظة
إلا تحت وطأة الإنذار
الذي تطلقه هذه الأفعى التي لا ُتحتمل



LE REBELLE

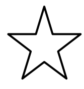
انقضَّ ملاك من السماء كالنّسر غاضباً
وأمسك بملء قبضته بناصية الكافر
وقال وهو يهزه: سوف تحفظ الناموس
أنا ملاكك الحارس أتسمع إني أريد ذلك
اعلمْ أن عليك أن تحبَّ دون تذمّر
الفقير والخبيث, المنحرف والأبله
حتى تستطيع أن تصنع ليسوع عندما يمرّ
سجادة استقبال مصنوعة من إحسانك
هكذا يكون الحب
فقبل أن يملَّ منه قلبك
أعد إشعال انتشالك بمجد الله
لأنه الوجد الحقيقي الدائم الإغراء.
والملاك الذي يوقع القصاص
يحب أن يعذب بقبضتيه الجبارتين
الشرير الذي يردُّ عليه باستمرار
لا أريد



بعيداً من هنا

BIEN LOIN D'ICI

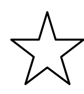
هذا الكوخ المقدس الذي تقيم في هذه الفتاة
المغالية في التبرُّج هادئة متأهبة باستمرار
تستروح بيدها النسمات إلى صدرها
وتصغي إلى نواح النوافير في الأحواض
ومرفقاها يستندان إلى الحشايا
هذه هي غرفة ((دوروثي))
الماء والنسيم يغنيان في البعيد
أغنيتهما الممزوجة بالنحيب
ليهدهدا هذه الطفلة المدللة
وبعناية كبيرة تدلك بشرتها الناعمة
من رأسها حتى أخمص قدميها بالزيت المعطر واللبان
في حين تبتهج الأزهار
في إحدى الزوايا



تأمّل

RECUEILLEMENT

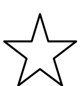
اعتصمي بالحكمة يا آلامي
وكوني أكثر هدوءاً
كنت تطلبين المساء وها هو قد أتى
جوٌّ مظلم يلفُّ المدينة
يحمل للبعض السلام والقلق للبعض الآخر
فعندما يجني الدهماء الندم من مباذلهم
تحت وطأة سياط اللذة
هذا الجلاد الذي لا يرحم
مدِّي يديك إليَّ يا آلامي
وتعالي نذهب بعيداً عن هؤلاء
انظري إلى السنوات الهاربة
تنحني على شرفات السماء بأثوابها البالية
وإلى الندم المبتسم ينطلق من أعماق المياه
وإلى الشمس المحتضرة تنام تحت قبة السماء
وتجرجر على الأفق أشعتها
كأنها كفن طويل
اسمعي يا عزيزتي
اسمعي زحف الليل الناعم



شكوى ايكاروس*

LES PLAINTES D'UN ICARE

عشاق العاهرات مُتخمون مُعافون سعداء
وأنا تتحطم ذراعاي من معانقة الغمام
وعيناي المتعبتان لا تريان
سوى ذكريات الشموس الساطعة
بفضل النجوم التي لا مثيل لها
المتلألئة في أعماق الفضاء
عبثاً أحاول أن أجد للفضاء وسطاً أو نهاية
فلست أدري تحت أيّة عين من نار
شعرت بجناحيّ ينصهران
وأنا الذي أحرقني حبٌّ الجمال
لن أحصل على الشرف الرفيع
بأن أخلع اسمي على الحفرة
التي ستكون لي قبراً



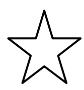
---

* الشخص الأسطوري الذي تخلص من سجنه بصنع جناحين من الشمع

الغطاء

LE COUVERCLE

سواء كان المكان الذي تسعى إليه بحراً أو براً
وسواء كان المناخ من نار أم من جليد
فيا خادم المسيح ويا مُريد سيثيرCythere
أيها المتسول الحزين وأيها القارون الفاحش الثراء
يا ساكن المدينة والريف
أيها المتشرد والمقيم
سواء كان عقلك راجحاً أم كنت بطيء التفكير
فإنك أيها الأنسان واقع في كل مكان
تحت سيطرة سر رهيب
إلا بعين مرتجفة
فالسماء كهف جدرانه خانقة
سقف تنيره أنوار مغناة هزلية
يدوس فيها البهلوان على أرض مُخضبَّة بالدم
إنها رعب الفاسق وأمل الناسك المجنون
هذه السماء هي الغطاء الأسود لقدر عظيمة
تغلي فيها بشكل غير منظور
الإنسانية الواسعة



المحتوى

- أغنية لبعد الظهر
- إلى سيدة خلاسية
- الشبح
- نشيد الخريف
- أحزان القمر
- البوم
- الغليون
- الموسيقا
- الميت الفرح
- برميل الحقد
- الجرس المصدوم
- كآبة
- كآبة
- كآبة
- كآبة
- معذب نفسه
- الشمس
- البجعة
- العميان
- إلى عابرة
- شفق المساء
- روح الخمر
- خمر لقاطي الخرق
- خمرة القاتل
- خمرة العشاق
- الهدم
- ينبوع الدم
- رحلة إلى جزيرة سيثير
- صلوات للشيطان
- موت العشاق
- موت الفقراء
- موت الفنانين

- غروب الشمس الرومانسي
- نهر النسيان
- إلى التي تفيض فرحاً
- الحليّ
- النافورة
- عينا بيرت
- أنشودة
- وعود الوجه
- الفدية
- إلى فتاة من ملبار
- فيما يتعلق بثقيل يدّعي صداقتك
- غزلية حزينة
- المنذر
- الثائر
- بعيداً من هنا
- تأمُّل
- شكوى ايكاروس
- الغطاء